المطاردة

(المسرح خال تماما. يدخل شابان فى ميعة الصبا. يرتدى أولهما قميصا أبيض وبنطلونا رماديا قصيرا وحذاء من المطاط، ويرتدى الآخر قميصا أحمر وبنطلونا أزرق وحذاء من المطاط. سنطلق على الأول «الأبيض» نسبة إلى قميصه والآخر الأحمر نسبة إلى قميصه أيضا. ينظران فيما حولهما باستطلاع واهتمام).

الأبيض : مكان مناسب وبه كل ما نحتاج إليه.

الأحمر : إنه مكان على أى حال ونحن فى حاجة إلى مكان.

الأبيض : (كمن يتذكر) يخيل إلىّ أننا لعبنا فيه من قبل.

الأحمر : (هازئا) دائما تقول ذلك.

الأبيض : أو لعله قريب الشبه منه.

الأحمر : المهم أنه مكان صالح للعب.

الأبيض : هذا هو المهم حقا.

الأحمر : وهو بعيد فلن يهتدى إليه.

الأبيض : أرجو ذلك.

الأحمر : لعله يجد ما يشغله عنا.

الأبيض : لعله.

الأحمر : كأنه لا هم له إلا التطفل علينا.

الأبيض : لو نوفق إلى تجاهله!
الأحمر : كيف وهو لا يتركنا لحالنا؟
الأبيض : فلنلعب .
الأحمر : فلنلعب .
الأبيض : لنلعب لعبة الأحلام .
الأحمر : إنها مضجرة وخير منها الملاكمة .
الأبيض : الملاكمة رياضة عنيفة فلنجر فى الهواء الطلق .
الأحمر : (ساخرا) أنت جبان .
الأبيض : (باسما) أنت حيوان .

(يتوثبان لبعضهما فى تحد ـ يتراجعان وهما يرهفان السمع فى قلق).

الأبيض : ماذا هناك؟

(الأحمر يشير إليه بالسكوت ويرهف السمع)

الأبيض : سمعت شيئاً؟
الأحمر : وقع أقدام!
الأبيض : حقا؟!
الأحمر : اسمع ولا تتكلم .
الأبيض : (مرهفا السمع. وقع الأقدام يتضح) وقع أقدام حقا .
الأحمر : هو؟
الأبيض : أو أى ذى قدمين .
الأحمر : لا تتظاهر بعدم الاهتمام .
الأبيض : أنا لا أحسن التظاهر ولا أحبه .
الأحمر : ألا يزعجك حقا؟
الأبيض : بلى، ولو لدرجة ما .

(تقترب الأقدام. يدخل رجل متين البنيان، قوى بصورة واضحة، يرتدى قميصا أسود وبنطلونا أسود وبيده سوط. رغم قوته وشباب ملامحه فإنه لا توجد شعرة سوداء واحدة فى رأسه الأبيض.

تنحى الشابان جانبا وهما ينظران إليه فى حذر. أما هو فوقف منتصب القامة ناظرا فيما أمامه نظرة مجردة بعيدة المرمى وهو يحرك قدميه (محلك سر) طيلة الوقت).

الأحمر : أرأيت؟

الأبيض : نعم.

الأحمر : نذهب إلى مكان آخر؟

الأبيض : فلنلعب إن تكن لك رغبة فى اللعب حقا.

الأحمر : تحت عينيه؟

الأبيض : ولم لا؟

الأحمر : **(ملاحظا الرجل)** إنه لا يكف عن الحركة رغم أنه لا يبرح مكانه.

الأبيض : المهم ألا يتدخل فى شئوننا.

الأحمر : ولكنه يتبعنا أينما سرنا.

الأبيض : لا يعد ذلك تدخلا فى شئوننا.

(صمت)

الأبيض : فلنلعب «وطى البصلة».

الأحمر : **(يهز منكبيه استهانة)** فليكن، «وطى».

الأبيض : وطى أنت أولا.

الأحمر : بل أنت الأول.

الأبيض : لا تكن أنانيا.

الأحـــمـــر : لا هم لك إلا المعارضة .

الأبـــيـــض : وأنت تتصرف كأن لا وجود لأحد معك .

الأحـــمـــر : لاعبنى «برادى فير» والمغلوب يوطى .

(الأحمر ينطرح على بطنه ويركز ذراعه على كوعه ناظرا إلى الأبيض فى تحد فيضطر هذا إلى أن يفعل مثله، يتصارعان، الأحمر يميل ذراع الأبيض حتى يلصقها بالأرض..).

الأحـــمـــر : **(صائحا بفرح) غلبت.... لم يوجد بعد الذى يستطيع أن يغلبنى (تلوح منه نظرة نحو الرجل القوى المتحرك فيبوخ حماسه نوعا) لم يوجد بعد.. (الأبيض ينهض مستسلما، يوطى واضعا يديه على ركبتيه. الأحمر يتراجع مسافة ثم يجرى نحو الآخر ويثب من فوقه معتمدا بيديه على ظهره المنحنى، ثم يوطى بدوره فيثب الأبيض من فوقه، هكذا تستمر اللعبة حتى يتعثر الأبيض وهو يثب فيرتطم بالآخر ويقعان معا، ويغرقان فى الضحك. يقفان وهما يضحكان. ويكف الأبيض عن الضحك ويواصله الأحمر. الأبيض يشير إلى صاحبه بالسكون وهو يرهف السمع، ثم يتراجع به بعيدا عن الرجل).**

الأبـــيـــض : يخيل إلىّ أنه طالبنا بالكف عن اللعب .

الأحـــمـــر : لم أسمع شيئا .

الأبـــيـــض : ولكنى سمعته .

الأحـــمـــر : سمعى أقوى من سمعك .

الأبـــيـــض : ولكنك كنت تضحك .

الأحـــمـــر : (غاضبا) أرى أن نوقفه عند حده . .

الأبـــيـــض : يحسن بنا أن نتجاهله . .

الأحمر : بأى حق يتدخل فى حريتنا؟

(صمت)

الأحمر : وكلما سكتنا زاد فى غيه.

الأبيض : تذكر أنه كان صديقا لوالدنا!

الأحمر : لا نستطيع أن نحكم، كنا وقتها صغارا.

الأبيض : ولكنه لم يكف عن زيارته حتى آخر يوم فى حياته..

الأحمر : لعله كان يتدخل فى شئونه كما يريد أن يفعل معنا؟

الأبيض : لا يبدو أنه شرير..

الأحمر : ولكن غير بعيد أن يكون به لطف!

الأبيض : لعل متابعته لنا حيثما نذهب نوع من الرعاية بحكم صلته القديمة بوالدنا؟

الأحمر : أنت عبيط، ولعله كان ضمن الأشياء التى نغصت صفو أبينا فى أواخر أيامه..

الأبيض : ولكن والدنا لم يذكره بسوء.

الأحمر : كنا صغارا لا نفقه لما يقال معنى..

الأبيض : لم يكن لوالدنا أعداء.

الأحمر : من أدرانا بحقائق ذلك الزمن؟

(صمت)

الأحمر : لماذا يطاردنا؟

الأبيض : إن صح أنه يطاردنا حقا فلماذا يطاردنا؟

الأحمر : انظر إلى حركته المستمرة، إنه مجنون..

الأبيض : لا تتسرع فى الحكم..

الأحمر : هل يقبل عاقل أن يقف كما يقف ويحرك ساقيه كما يحركهما؟

الأبـــيــض : بعض الناس لا يطيقون السكون . .

الأحـــمـــر : ترى ما مهنته؟

الأبـــيــض : إنه قوى، خالى البال، فلعله من الأعيان .

الأحـــمـــر : دعنا نناقشه جهارا .

الأبـــيــض : كلا، مظهره لا يشجع على المناقشة . .

الأحـــمـــر : دعنى أسأله بضعة أسئلة . .

الأبـــيــض : مثل ماذا؟

الأحـــمـــر : لماذا يطاردنا؟

الأبـــيــض : لن يعترف بذلك، ولا دليل عليه . .

الأحـــمـــر : ألم تسمعه وهو يطالبنا بالكف عن اللعب؟

الأبـــيــض : حتى ذلك غير مؤكد .

(صمت)

الأبـــيــض : خير ما نفعل أن نتجاهله . .

الأحـــمـــر : لا أستطيع . .

الأبـــيــض : لولا عصبيتك . . .

الأحـــمـــر : (مقاطعا) دائما ترمينى بعجزك . .

الأبـــيــض : لا حد لمكابرتك . .

الأحـــمـــر : أحيانا أود أن أدق عنقك .

الأبـــيــض : سأضيق بك يوما فأهجرك . .

(يتواجهـان فى غضب. الرجل يضرب الهواء بسوطه فـيحدث طرقعـة شديدة.. يدب الخوف فى قـلبيهـما. ينسيـان خلافهـما الطارئ. يغادران المكان. الرجل يقف وقـفته وهو يحرك سـاقيه (محلك سر).. المكان يظلم..).

* * *

٢

(يضاء المسرح. نفس المسرح الخالى. يقف الأحمر والأبيض متواجهين. لقد تغيرا تغيرا ملحوظا. ارتدى كل منهما جاكتة من لون القميص وحذاء جلديا وأصبح لكل شارب صغير يتبادلان النظر فى ارتياح).

الأحمر : هيهات أن يتعرف علينا الآن.

الأبيض : تغيرنا لدرجة لا بأس بها.

الأحمر : ولكنها كافية لتضليله..

الأبيض : هذا هو المأمول.

الأحمر : لا تبدو واثقا ولا مطمئنا.

الأبيض : يخيل إلىّ أحيانا أن التغير سطحى.

الأحمر : أنت مولع دائما بالتهوين من مهارتى.

الأبيض : أبدا، استعدادى طيب للاعتراف بمواهبك..

الأحمر : إذن فلماذا تبدو مرتابا؟

الأبيض : أخشى ألا يخدعه مظهرنا الجديد.

الأحمر : لن يصل إلى حقيقتنا الكامنة وراء الشارب والجاكتة والحذاء.

الأبيض : عظيم، هذا هو المأمول..

الأحمر : نحن الآن موظفان من قوة الدولة!

الأبيض : هذا صحيح و...

(يصمت فجأة متنصتا. الآخر يتنصت أيضًا)

الأبيض : وقع أقدام . .
الأحمر : لا أظن .
الأبيض : إنه قادم . .
الأحمر : لعله عابر سبيل مجهول .
الأبيض : بت أعرف إيقاع قدميه . .
الأحمر : لا تدّع امتلاك الحكمة كلها .

(يصبح وقع الأقدام مسموعا. يدخل الرجل بنفس الصورة التى ظهر بها أول مرة، ولكنه لا يقف إنما يمضى ذهابا وجيئة فى بطء ملحوظ بعرض المسرح وفى عمقه. الشابان ينظران نحوه بذهول. يتنحيان جانبا بعيدا عن مسمعه).

الأبيض : أرأيت؟
الأحمر : مهلا . . أرجح أنه لم يتعرف علينا .
الأبيض : أتؤمن بذلك حقا؟!
الأحمر : لعل الذى يجمعنا هو الطريق والمصادفة ولا شىء سواهما . .
الأبيض : لا بأس من أن نسلم بذلك . .
الأحمر : فلنتجاهله ولنمارس عملنا فى هدوء وسكينة . .

(يرجعان إلى وسط المسرح، يتظاهران بالانهماك)

الأحمر :**(بنبرة عظمة)** حررت استمارات الصرف؟
الأبيض : لم تبق إلا واحدة .
الأحمر : أسرع من فضلك لتتم مراجعتها اليوم .
الأبيض : على أى حال فالخزانة لا تغلق قبل منتصف النهار .
الأحمر : لا يجوز تأجيل عمل اليوم إلى غد .
الأبيض : ألا ترى أنه يجب مراجعة ميزانية المصروفات؟

الأحـــمـــر : أعلم أنها تسمح بالصرف حتى نهاية العام المالى . .

الأبـــيـــض : إذن يحسن أن أكتب المذكرة .

(صمت)

الأحـــمـــر : هل لك علاوة هذا العام؟

الأبـــيـــض : كلا وأنت؟

الأحـــمـــر : أستحق علاوة هذا العام .

الأبـــيـــض : مبارك .

الأحـــمـــر : ستغرق فى خضم أعباء المعيشة .

(الأبيض يتنصت فجأة وهو يمد أذنه نحو الرجل المتحرك، ثم يأخذ الآخر من يده بعيدا عن مسمعه).

الأبـــيـــض : أسمعت؟

الأحـــمـــر : كلا .

الأبـــيـــض : عاد يطالبنا بالكف عن اللعب . .

الأحـــمـــر : متأكد؟ !

الأبـــيـــض : بلا أدنى شك .

الأحـــمـــر : اللعنة . .

الأبـــيـــض : من السهل خداعه .

الأحـــمـــر : ماذا يريد منا؟

الأبـــيـــض : الله أعلم .

الأحـــمـــر : واضح أننا لا نلعب .

الأبـــيـــض : واضح جدا .

الأحـــمـــر : أيظن أنه ولى أمرنا؟

(الأحمر يغضب. يأخذ الأبيض من يده ويذهبان إلى وسط المسرح. الأحمر ينظر نحو الرجل المتحرك متحديا).

الأحمر : هل تخاطبنا يا حضرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : يجب أن تتكلم . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : نحن موظفان محترمان، ولا نقبل إلا المعاملة اللائقة بكرامة الدولة . .

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأبيض : هل لك حاجة فى المصلحة؟

الأحمر : عليه أولا أن يجيب . .

الأبيض : هل لك طلب؟ . . شكوى؟ . . أموال متأخرة؟

(الرجل يواصل حركته صامتا)

الأحمر : كيف دخلت الإدارة؟ . . أمعك بطاقة شخصية؟

الأبيض : نحن فى خدمة الجمهور . .

الأحمر :(ثائرا) كف عن حركتك اللعينة فقد أدرت رءوسنا!

الأبيض : وتذكر أن الخزانة تغلق فى تمام الثانية عشرة .

الأحمر : لو رآك المدير وهو ذاهب إلى دورة المياه فلن تحمد العواقب . .

الأبيض : ما زلت أقول إننا فى خدمة الجمهور .

الأحمر : يا ويلك من رجال أمن الوزارة لو رأوك!

الأبيض : ماذا جاء بك يا سيدى؟

الأحمر : طبعا عندك فكرة عن العقوبة التى ينالها من يعتدى على موظف فى أثناء قيامه بأعمال وظيفته؟

الأبيض : هل تضايقك بعض الشكليات السخيفة؟

الأحمر : أنت أدرى بما يضايقك، ومن حقك أن تشكو، ولكن لكل إجراء نظمه المتبعة الواجبة الاحترام .

الأبـــيـــض : وحتى إذا احتاج الأمر إلى رعاية خاصة أو وساطة لها وزنها فستجد عندنا ما يحقق رغباتك المشروعة .

الأحـــمـــر : عليك أولا أن تكف عن الحركة وأن تتفاهم كما يجدر بالناس الطيبين .

(الرجل يواصل حركته وفجأة يضرب الهواء بسوطه فيحدث فرقعة شديدة.. يتراجع الشابان فى خوف).

الأحـــمـــر : (بلهوجة) أذن موعد الانصراف .

الأبـــيـــض : هيا بنا إلى معركة المواصلات .

(يغادران المكان بسرعة، وفى خوف لم يفلحا فى إخفائه. يستمر الرجل فى حركته. يظلم المسرح).

٣

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض متواجهان بنفس الحال التى رأيناهما عليها، عدا الشارب الذى امتد ونما فأضفى عليهما مظهر رجولة لم تجاوز حدود الشباب).

الأحـــمـــر : أليست فكرة بارعة؟

الأبـــيـــض : وطبيعية ، وتهيىء لنا استقرارا .

الأحـــمـــر : الزواج هناء، ومصاهرة تقوى مركزنا وسواعدنا ، وفى إطار الصورة الجديدة لن يتعرف علينا .

الأبـــيـــض : هو خير من العزوبة على أى حال .

الأحـــمـــر : (فى عصبية) لا أراك متحمسا .

الأبـــيـــض : بل إنى مرحب جدا بالفكرة .

الأحمـــر : لا أرى أثرا للحماس فى وجهك .
الأبـيـض : الزواج فكرة طيبة ولكن هل يغيرنا للدرجة التى تضلله عنا؟
الأحمـــر : أعتقد ذلك .
الأبـيـض : فلنجرب والله معنا .
الأحمـــر : أظن يكفينا زوجة واحدة؟
الأبـيـض : فكرة مبتكرة .
الأحمـــر : واقتصادية ، ولكنى أخشى قيام نزاع يهدد كل شىء .
الأبـيـض : (باسما) طالما واجهنا الحياة كشخص واحد .
الأحمـــر : كثيرا ما نختلف ونتخاصم .
الأبـيـض : ولكن شيئا لم يستطع أن يقضى على الرابطة التى تجمعنا .

(صمت)

الأحمـــر : وقع اختيارى على زوجة ممتازة ولكن هل تتفق أذواقنا؟
الأبـيـض : بيننا تقارب لا شك فيه ولا تنس تسامحى .

(صمت)

الأحمـــر : إنى أحب اللون الخمرى .
الأبـيـض : اللون الأبيض لا يُعلى عليه .
الأحمـــر : بدأ الخلاف .
الأبـيـض : (بسرعة) ومع ذلك فجميع الألوان واحدة .
الأحمـــر : وأحب العود الممتلئ .
الأبـيـض : نحن فى عصر الرشاقة .
الأحمـــر : لا أتصور ذلك أبدا .
الأبـيـض : ليكن . . ليكن . . بشرط ألا يزيد وزنها بعد المعاشرة .

الأحــــمـــــر : بل لا بأس من أن يزيد وأن تمتلئ المواقع التى يريد الله لها أن تمتلئ.

الأبــــيـــض : (متنهدا) لتكن إرادة الله.

الأحــــمـــــر : ورأيت من الحكمة أن تكون ذات مال ولو فى الحدود المعقولة.

الأبــــيـــض : يا له من تفكير تجارى!

الأحــــمـــــر : أنت جاهل بالدور الذى يلعبه المال فى الحضارة!

الأبــــيـــض : ليكن ما تريد، لا تغضب.

الأحــــمـــــر : ولا أقبل بحال أن تكون كاملة التعليم، حسبها التعليم الابتدائى، فالعلم زينة غير مقبولة للمرأة وهو يغريها دائما بالعمل الذى يحولها فى النهاية إلى رجل.

الأبــــيـــض : رأيك هذا كان رأيا عصريا فى العصر الحجرى.

الأحــــمـــــر : أنا لا يخيفنى التعبير بالعصور القديمة.

الأبــــيـــض : ما دمنا نرغب فى أن نكون ثلاثة فأكثر، وما دام ذلك فى صالحنا وضمانا لأمننا المهدد، فلا يعنى إلا القبول.

الأحــــمـــــر : وطالبت بأن تكون لعوبا فى نطاق الشرع!

الأبــــيـــض : المرأة اللعوب لا يسعها إلا أن تكون لعوبا سواء فى نطاق الشرع أو خارجه.

الأحــــمـــــر : بل فى نطاق الشرع وحده وسوف ترى.

الأبــــيـــض : فلنجرب على أى حال.

(صمت)

الأحــــمـــــر : هل لك مواصفات أخرى؟

الأبــــيـــض : مواصفات هامشية ولكنها لا تخلو من فائدة، مثل البراعة فى الحديث.

الأحمـر : لا أهمية لذلك، أنا أعرف زوجا سعيدا، ترجع سعادته أولا إلى كون زوجته خرساء.

الأبيض : ويا حبذا لو كانت تجيد الغناء!

الأحمـر : لا أهميـة لذلك أيضـا فلدينا الكفـاية فى الإذاعـة والتليفزيون.

(صمت)

الأحمـر : هل من مواصفات أخرى؟

الأبيض : كلا.

الأحمـر : أعتبر اتفاقنا كاملا؟

(الأحمر ينظر إلى الجانب الأيمن من المسرح ويزغرد. تسمع موسيقى زفة العروس.

تدخل العروس وهى تسير بين شيخ وشرطى. يقفون أمام الشابين ثم يستدير الرجلان ويذهبان. تتبادل النظرات بين العروس وبين الشابين).

الأحمـر : أهلا بك يا عروس.

العـروس : (فى حياء) أهلا بك.

الأبيض : فلتحل بحلولك النعمة والهناء.

العـروس : آمين.

(يقبلانها فى وقت واحد، كل فى خد)

العـروس : (بحيرة) توقعت قبلة واحدة!

الأبيض : سيتكرر ذلك كثيرا.

الأحمـر : وعلى كل موقع مختار!

(ذهول من العروس وضحك من الشابين)

الزوجـة : (فى حيرة أكثر) إنى أتزوج لأول مرة فمعذرة.

الأحمر والأبيض معا : ونحن كذلك !

الـزوجـــــة : نحن ؟ !

الأبــيـــض : نعم .

الأحـــمـــر : لسنا من أنصار تعدد الزوجات .

الـعـــــروس : ولكن .

الأحـــمـــر : أنت الزوجة ونحن الزوج .

الـعـــــروس : معا؟

الأحـــمـــر : نعم .

الـعـــــروس : ولكنكما اثنان .

الأبــيـــض : اعتبرينا شخصا واحدا .

الـعـــــروس : لا أفهم شيئا .

الأحـــمـــر : ثمة أمور لا تفهم إلا بعد ممارسة الحياة الزوجية بالفعل .

الـعـــــروس : لم يكن ذلك ضمن المعلومات التى زودتنى بها أمى .

الأحـــمـــر : طيبة منها ولا شك .

الـعـــــروس : وكيف تستقيم المعيشة معكما معا؟

الأحـــمـــر : ستعلمين ذلك فى حينه .

الـعـــــروس : أليست حالا غير طبيعية؟

الأحـــمـــر : هذا ما جرت به الطبيعة منذ الأزل .

الـعـــــروس : قيل لى إن التوفيق مع زوج واحد أمر ليس بالهين فكيف يتيسر مع اثنين؟

الأبــيـــض : هو غير هين لذلك وليس لسبب آخر .

الأحـــمـــر : ستتعلمين كل شىء فى حينه . . تعالى .

(ينهالان عليها قبلا وأحضانا وهى مرتبكة)

الـعـــــروس : ستوجد مشاكل؟

الأحـــمـــر : مشاكل؟
العــــروس : (فى حياء) من سيكون أبا الوليد؟
الأبـــيـــض : سيحمل اسم من يسجله فى المكتب المدنى.
العــــروس : ولكن ذلك شىء عرضى جدا.
الأبـــيـــض : الأسماء كلها عرضية.
العــــروس : أعجب ما سمعت فى حياتى!
الأحـــمـــر : هكذا سيبدو لك كل شىء.
العــــروس : لم أسمع بذلك مَن قبل.
الأحـــمـــر : ولذلك فإنى من أنصار تعليم الجنس فى المدارس!

(صمت)

(يترامى وقع أقدام. يخرجون بعنف من جو الموقف ويرهفون السمع)

الأحـــمـــر : غير معقول.
الأبـــيـــض : (متنهدا) لم أكن مغاليا.
العــــروس : من القادم؟
الأحـــمـــر : (للأبيض): ولكن.. هيهات أن يعرفنا!
الأبـــيـــض : فليحقق الله ظنك.
العــــروس : أتتوقعان قدوم أحد؟
الأحـــمـــر : كلا.
العــــروس : فمن القادم؟

(صمت مع إرهاف السمع)

(يدخل الرجل بصورته الثابتة، ويمضى ذهابا وإيابا فى حركة أسرع قليلا مما كانت عليه فى المنظر السابق. الأحمر والأبيض والعروس يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحــــمــــر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبــيـــض : طالما منينا أنفسنا بذلك .

الـعـــروس : (بضيق واضح) ماذا جاء به إلى هنا؟

الأحــــمــــر : (للعروس) أرأيته من قبل؟

الـعـــروس : أكثر من مرة!

الأحــــمــــر : أنت أيضا؟!

الـعـــروس : وأنتما؟ . . أليس كذلك؟!

الأبــيـــض : لعله من سكان الحى!

الأحــــمــــر : أكاد أوقن بجنونه .

الـعـــروس : كان من المترددين على أبى .

الأحــــمــــر : أيضا!

الـعـــروس : ظننته سينقطع عن الظهور عندما أصير فى عصمة رجل ولكنه مصر رغم أننى صرت فى عصمة رجلين!

الأحــــمــــر : لا داعى للتشاؤم فلعله لم يعرفنا .

الأبــيـــض : لعله!

الـعـــروس : رباه . . ما أشد قلقى . . ماذا يجدر بنا أن نفعل؟

(صمت)

الأحــــمــــر : فلنتجاهله . . ولنغن احتفالا بحياتنا الزوجية .

(يرجع الأحمر بهما إلى موقفهما السابق وسط المسرح ثم يغنون):

بشــرى لنــا نلنــا المنــى
زال العنــــا وافى الهنــا

(الأبيض يرهف السمع باهتمام واضح)

الأبــيـــض : (للأحمر) عاد يتكلم .

الأحـــمـــر : (منفعلا) ماذا قال؟

الأبـــيـــض : كالعادة .

الأحـــمـــر : (مخاطبا الرجل) ماذا تريد؟

الأبـــيـــض : (للرجل) سيدى . . لم تضيع وقتك هدرا؟!

الأحـــمـــر : (للرجل وحدته ترتفع) هل تغرك قوتك؟ هل تستند إلى أحد من ذوى الشأن؟ إذن فاعلم أننا أصهرنا إلى واحد منهم هو والد هذه الزوجة الكريمة ، وقد أصبحنا ثلاثة تؤيدهم حلقة متينة من العائلات الأصيلة .

الأبـــيـــض : (للرجل) أخى شاب ذو حدة ، ولكننا فى النهاية من صلب الرجل الطيب الذى كان صديقا لك .

الأحـــمـــر : (مستسلما للحدة) : لم أعد أطيق هذا التدخل السخيف!

الـعـــروس : ولا أنا .

الأبـــيـــض : (للرجل) ماذا تريد يا سيدى؟ كأنه لا يروق لك شىء مما نفعله ، فماذا تريدنا على أن نفعل؟

الأحـــمـــر : (للرجل) تكلم . . يجب أن تتكلم .

الـعـــروس : (للرجل أيضا) احترم الحياة الزوجية المقدسة .

الأبـــيـــض : نحن ندعوك لحفل زفافنا ، ما رأيك؟

(صمت)

الأحـــمـــر : (موجها خطابه للزوجة والأبيض) لا فائدة!

الـعـــروس : يا للأسف!

الأبـــيـــض : (وهو يتنهد بصوت مسموع) أصبح لنا أسرة على أى حال!

(الرجل وهو يواصل حركته ذهابا وإيابا يضرب بسوطه

الهواء فتسمع طرقعة شديدة.. يتراجعون بعيدا عنه فى ذعر واضح).

العـــــروس : لا أطيق ذلك .

الأحـــمــــر : ولا أنا .

الأبـــيـــض : لنبدأ رحلة شهر العسل !

الأحـــمــــر : لنبدأها فورا .

العـــــروس : هيا . . هيا .

الأحـــمــــر : سيسقط يوما من الإعياء جثة هامدة .

العـــــروس : آمين .

(يتأبط كل منهما ذراعا لها ويغادرون المكان وهم يسترقون النظر إليه فى حذر. يواصل الرجل حركته على حين يظلم المسرح).

٤

(يضاء المسرح. الأبيض والأحمر بنفس الملابس ومعهما الزوجة. واضح أن العمر قد تقدم بهم فجرى المشيب فى رءوسهم وذبلت نضارتهم، أصبحوا كهلين وسيدة).

الـزوجـــــة : مهما يكن من متاعبكم فلا يجوز أن ننسى الأبناء !

(الرجلان يتبادلان نظرات عميقة وكأنهما لم يسمعا صوت الزوجة).

الأحـــمــــر : إذا طارت درجة المدير العام هذه المرة فقل عليها السلام .

الأبـــيـــض : ما زالت اجتماعات اللجنة مستمرة !

الأحـــمــــر : ككل مـرة، ثم يرقى شـخص مـجـهـول لا يخطر ببـال أحد.

الأبـــيـــض : هل تطيق الصحة أعباء جديدة يا عزيزى؟

الأحـــمــــر : لا شىء يهـمك حـتى الأعـمـاق، أبدا، هل فكرت فى تحسين المعاش كما ينبغى لرجل مسئول؟!

الـزوجـــــة : المعاش فى النهاية أهم من المرتب نفسه!

الأحـــمــــر : كررى ذلك على مسامعه!

الأبـــيـــض : إنى أود الترقية أيضا ولكنى أكره حرق الدم.

الأحـــمــــر : سرعان ما تضيق بأى شىء.

الأبـــيـــض : فليـهـتم بالمعـاش من لن يملكوا سـواه، أمـا أنت فـإن نشاطك الحر أضعاف نشاطك الرسمى.

الأحـــمــــر : لولا ذلك ما توافرت لنا الحياة التى ننعم بها.

الأبـــيـــض : غـرقنا فى العـمل طيلة عـمـر، للدولة ولأنفسنا، بت أتطلع لحياة أخرى، لشىء من الهدوء والراحة.

الأحـــمــــر : عـمـا قـريب ستـشـبع من الهـدوء والراحة وتبكى الأيام الخالية.

الأبـــيـــض : لا أظن.

الـزوجـــــة : كـفـا عن النزاع، ولـندع الله أن يهـبنا القـوة والصـحـة، ولكن فكرا قليلا فى الأبناء.

الأحـــمــــر : (للأبيض) أنت مثبط للهمم.

الأبـــيـــض : كلا، لى طموح بعيد أيضا.

الأحـــمــــر : لا أعترف به.

الأبـــيـــض : تلزمنا فترة تأمل عقب الجنون المحتدم.

الأحـــمــــر : من أين لنا بهـا؟ ثلاثة اجـتـمـاعات فى اليـوم، ورابع فى

المساء مع سمسار من السوق الحرة، وعلينا بعد ذلك أن نقيم وليمة عشاء للعملاء . .

الـزوجـــــة : ستكون وليمة يشهد لها العدو قبل الصديق . .

الأبـــيـــض : (للأحمر) ولكن ألا ترى أن وظيفة المدير العام ستلتهم وقتنا الضيق؟

الأحـــمـــر : كلا، فهى من ناحية أخرى تذلل كثيرا من الصعاب . .

الأبـــيـــض : لا تنس أمراضك المزمنة .

الأحـــمـــر : إنى مسيطر عليها تماما . .

الـزوجـــــة : نسأل الله السلامة . .

الأحـــمـــر : (للزوجة) لن أنسى أفضالك فأنت ممرضة ماهرة!

الأبـــيـــض : هى نفسها لا تخلو من أمراض مزمنة . .

الأحـــمـــر : هذا يدعونا إلى مضاعفة النشاط .

الـزوجـــــة : والأبناء؟

الأحـــمـــر : (فى ضـــيق) الأبناء . . الأبناء . . لا حكاية لك إلا الأبناء، وحكايتهم لا تسر الخاطر . .

الـزوجـــــة : ولكنها جديرة بكل اهتمام وعناية . .

الأحـــمـــر : اللعنة . . إنهم أعقد من درجة المدير العام .

الـزوجـــــة : (للأبيض) قل شيئا . .

الأبـــيـــض : فى ذلك المجال فإنى أفعل أكثر مما أتكلم .

الـزوجـــــة : (متأوهة) حسادنا كثيرون على حين أننا تعساء .

الأحـــمـــر : (غاضبا) كفى عن الولولة!

الـزوجـــــة : (غاضبة أيضا) أنت رجل أنانى . .

(يخرصهم السكوت فجأة فيرهفون السمع فى قلق واضح).

الأحـــمـــر : كلا . . لا شىء . .

الزوجة : ماذا هناك؟
الأحمر : خيل إلىّ . .
الزوجة : يا رحمن يا رحيم .
الأبيض : ليست المرة الأولى .
الأحمر : ماذا تعنى؟
الأبيض : سمعنا الأقدام مرات ولكن الرجل لم يظهر ، منذ مدة لم يظهر .
الأحمر : بل كدنا ننساه تماما .
الزوجة : ليس تماما .
الأبيض : ولكنه كثير ما يسمعنا وقع أقدامه . .
الأحمر : مجرد ظنون .
الزوجة : لعله مات . .
الأبيض : مات؟!
الزوجة : وإلا ما اختفى طيلة تلك المدة . .
الأبيض : لكنه لم يختف تماما . .
الأحمر : أقسم أننى كدت أنساه . .
(وقع الأقدام يسمع بوضوح. ينصتون بقلق واضح..).
الأحمر : ليتنا ما ذكرناه . .
الزوجة : ليتنا . .
الأبيض : ولكن لا حيلة لنا فى ذلك .
الأحمر : لا تنقصنا الهموم . .
الزوجة : وكل الهموم تهون بالقياس لهمه . .
الأبيض : ونحن نخلق من الهموم ما يكفى .
الأحمر : (للأبيض فى غيظ وحنق) يخيل إلىّ أحيانا أنك حليفه علينا!

الأبـيـض : ليتك تزداد مع العمر حكمة . .

الأحـمـر : الإعجاز أن نزداد مع العمر حماقة!

الأبـيـض : أشهد أن ذلك الإعجاز لا ينقصنا!

الأحـمـر : ما زلنا شبابا .

الأبـيـض : ظننت أن الشباب قد ولى . .

الأحـمـر : (مشيرا إلى قلبه) الشباب هنا وليس فى مكان آخر .

الـزوجـة : ما زلنا شبابا!

الأبـيـض : إذن فعليكم ألا تهتموا بمطاردة الرجل لنا .

الأحـمـر : ولكنى لا أرتاح إليه .

الـزوجـة : وأما أنا فإنى أمقته . . ويخيل إلىّ أنه سيقتلنا يوما ما .

الأبـيـض : نحن نقتل أنفسنا أيضا . .

الأحـمـر : لقد حققنا أعمالا مجيدة .

الـزوجـة : أعمال غير قابلة للموت .

الأبـيـض : لا يجوز أن نخشى الموت أكثر مما ينبغى .

الأحـمـر : كلام فارغ، أنت أول من يخاف الموت .

الـزوجـة : كيف لا نخشى الموت؟!

الأبـيـض : لا يبعد أن يكون آخر مغامرة فى الحياة . .

الأحـمـر : لا تتعلق بالأوهام . .

(وقع الأقدام يشتد. يدخل الرجل. منظره لم يتغير. يمضى فى حركته ذهابا وإيابا بسرعة أكبر مما كانت عليه فى المنظر السابق. يتابعونه بذهول. يتراجعون بعيدا عن مسمعه).

الأحـمـر : قلبى يحدثنى بأنه لم يعرفنا .

الأبـيـض : لا تتعلق بالأوهام!

الـزوجـة : إنه يزداد سرعة!

الأحمر : ذلك يعنى أنه يزداد جنونا .
الأبيض : ترى ما معنى ذلك؟
الأحمر : لا تحمل الأمور أكثر مما تعنى . .
الزوجة : (فى عصبية) ما له يسرع هكذا!
الأحمر : علينا أن نفزعه . .
الزوجة : كيف؟
الأحمر : (غامزا بعينه) فلنمثل دورنا بإتقان . .
: (يرجع بهما إلى المكان الأول وهو يتظاهر بالثقة والعظمة..).
الأحمر : (للأبيض) هل أضفت الأموال إلى حسابنا الجارى؟
الأبيض : نعم .
الأحمر : عظيم . . لا يجوز أن نترك مليما بلا استثمار .
الزوجة : عين الصواب .
الأحمر : سأقابل غدا بعض كبار المسئولين .
الزوجة : لعلهم ضمن المدعوين إلى مأدبة العشاء؟
الأحمر : كلا ، ستكون الوليمة قاصرة على الوزراء!
الزوجة : ولا تنس السفراء يا عزيزى .
الأحمر : ذلك ما لا يمكن نسيانه .
الزوجة : سيتم كل شىء على خير وجه قبل أن تسافر إلى الخارج .
الأحمر : (وهو يضحك عاليا) طبعا.. طبعا..
(الأبيض يرهف السمع باهتمام وقلق، يتجه نحو الأحمر).
الأبيض : تكلم مرة أخرى كالعادة!
الأحمر : أنت وحدك تسمع رغم أنك أضعفنا سمعا!
الأبيض : عليك أن تصدقنى . .

الأحمر : (للرجل وهو يتقد غضبا) ماذا تريد؟
الزوجة : (للرجل) ماذا جاء بك إلى بيتنا؟
الأحمر : (») نحن نطالبك بالأدب واللياقة.
الأبيض : (») لم يعد يمكن أن يقال إننا نبدد وقتنا فى اللعب!
الأحمر : (») وماذا يهمك من سلوكنا؟
الزوجة : (») ألا تخاف على أعصابك وأنت تجرى بهذه السرعة؟
الأحمر : (») يوجد قانون وتقاليد.
الزوجة : (») صن صحتك من أجل خاطر أولادك، أليس لك أبناء؟
الأبيض : (للرجل) ليتك تصارحنا بما تريد.
الأحمر : (») إنى أحذرك عواقب الاستهتار.
الأبيض : (») المصارحة مفيدة للطرفين.
الأحمر : (للأبيض) لا تلاينه فإنه لا يزداد بالملاينة إلا عتوا.
الزوجة : (للأحمر متوسلة) دعه يجرى!
(يتراجع الأحمر والزوجة تاركين الأبيض يجرب حظه..).
الأبيض : علاقتك القديمة بوالدنا لا يمكن أن تنسى..
(الرجل يواصل حركته وكأنه لا يسمع شيئا).
الأبيض : إنك لا تدرى مدى الإزعاج الذى تسببه لنا بحسن نية.
(الرجل يواصل حركته وكأنه... إلخ)
الأبيض : أأنت مكلف بمهمة؟ ما هى؟ من كلفك بها؟.. صارحنا وأعدك بالمساعدة!
(الرجل يواصل.. إلخ)
الأبيض : لا تسىء بنا الظن، لنا أخطاء بلا شك، ولكن أعمالنا لا تخلو من قيمة.. وخيرنا أكثر من شرنا..

(الرجل يواصل.. إلخ)

الأبـيـض : صـارحنا بما فى نفسك وإلا فـمن العـدل أن تتـركنا وشأننا . .

(صمت مع استمرار الرجل فى حركته)

الـزوجـة : (لنفسها) الكلام الطيب لا يؤثر فيه .

الـزوجـة : (للرجل بصوت مرتفع منفعل) هذه أرضنا، لنا فيها أبناء وأموال وأعمال، فليس من الإنصاف أن تزعجنا على هذا النحو . .

الأحـمـر : (بنبـرة تهـديد) لا فـائدة، ولا مـفـر من اللجـوء إلى المسئولين . .

(الرجل مستمر فى حركته على حين ينضم الأحمر والزوجة إلى الأبيض).

الأحـمـر : (بنفس النبرة المهددة) قوى شر كثيرة تعترض مجرى الحياة، مستهترة بالقوانين والتقاليد، ولكن كيف تكون عاقبتها ولو على المدى البعيد؟ تغلب على أمرها، ويحق عليها الجزاء والقهر، هذه هى سنة الحياة وإلا حق عليها الفناء . .

(الرجل وهو مستمر يضرب الهواء بسوطه فيحدث طرقعة رهيبة فينكمش الثلاثة، ثم يرون من الأوفق أن يغادروا المكان فيغادروه متعثرين. الرجل مستمر والظلام يهبط . .).

٥

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة وقد طعنوا فى السن وركبتهم الشيخوخة. الأحمر يرتدى عباءة حمراء وطاقية حمراء، والأبيض عباءة بيضاء وطاقية بيضاء، أما الزوجة فترتدى روبا يجمع بين اللونين. يتحركون حركات تنم عن الضعف والشيخوخة).

الأحمر : آه.

الأبيض : آه.

الزوجة : آه.

(صمت)

الزوجة : الحمد لله على أى حال.

الأبيض : له الحمد والشكر.

الأحمر : اللهم احفظنا.

(صمت)

الأبيض : (مرهفا السمع) هل تسمعان وقع أقدام؟

الأحمر : ثقل السمع!

الزوجة : إنى أسمعها عن غير طريق الأذن!

(صمت)

الزوجة : أتذكران عندما كنا أطفالا؟

الأحمر : ولكننا عرفناك بعد مرحلة الطفولة!

الأبيض : (فى حنان) عندما كنا أطفالا!

الزوجة : (متنهدة) عندما كنا أطفالا!

(صمت)

الزوجة : كأنه الأمس.

الأبيض : كأنه الأمس.

الأحمر : كأنه.. كأنه.. كأنه.. عليكم اللعنة!

(صمت)

الزوجة : الأيام الحلوة.

الأبيض : والأحلام الحلوة.

الأحمر : كنا نبول على أنفسنا وها نحن نبول على أنفسنا مرة أخرى!

(صمت)

الأبيض : (مرهفا السمع) هل...

الأحمر : (مقاطعا) تسمعان وقع أقدام؟

الزوجة : إنها تدب بلا انقطاع.

الأبيض : أعتقد أننا ألفناها.

الأحمر : أعتقد أنك مزعج مثله.

الزوجة : لا داعي للخلاف الآن.

(صمت)

الأحمر : فاتتنا فرص عظيمة ولكننا قمنا بأعمال تستحق الذكر.

الزوجة : نحمده على ما نلنا ونستعيضه عما فاتنا.

الأبيض : نحمده.

(صمت)

الأحمر : ترى هل أخطأنا فى توظيف أموالنا؟

الزوجة : العمارات أثبت من السوق المتقلبة!

الأبيض : سبحان من له الدوام .
الأحمر : وفكرة البيع الصورى للأبناء رائعة من ناحية الضرائب!
الأبيض : هى أروع فكرة قانونية للخروج عن القانون .
الأحمر : (غاضبا) أنت عنيد وأحمق .
الأبيض : دائما لا تعجبك الحقيقة .
الزوجة : لا تضاعف من مخاوفنا .
الأحمر : (ساخرا) الابن الوحيد الذى يحمل اسمك ضاع ، إخوته رجال أعمال يفخر بهم الوطن أما هو فماذا يعمل؟ . . ملحِّن ، ملحِّن . . ها . . ها .
الأبيض : لا يقل عن إخوته شأنا ولا يتطلع مثلهم للهجرة إلى الولايات المتحدة .
الأحمر : (وهو يضحك) ماذا يعمل بالله؟
الأبيض : إنه يلحن فيقول الناس آه .
الزوجة : (متأوهة) آه .
الأحمر : (متأوها) آه .

(صمت)

الزوجة : (معاتبة) كفا عن النزاع لم تعودا صغيرين .
الأحمر : (فخورا) لولاى ما دامت لنا الحياة الزوجية .
الأبيض : (فى امتعاض) الحق أنه لولاى لانفصمت عروة الزوجية فى أعقاب شهر العسل!
الأحمر : (ساخرا) أى فضل لك فى شهر العسل؟!
الزوجة : (مغطية وجهها) يا للفضيحة! . . أخفضا صوتكما!

(صمت)

الأحمر : (متذكرا أوجاع الكبر) آه .

الزوجـــة : آه .

الأبـيـض : آه .

(صمت)

الأحـمـر : آن لى أن أذهب إلى النادى .

الزوجـــة : يحسن بك ألا تخرج فى فصل الشتاء .

الأحـمـر : لا أريد أن يشمت بى أحد من الأعداء .

الأبـيـض : لا تبالغ فى تصور الأعداء .

الأحـمـر : الناس بطبعهم أعداء للرجل الناجح .

(وقع الأقدام يرتفع لدرجة لا تخفى على أحد. يرهفون السمع فى رهبة صامتين. يدخل الرجل بمنظره المألوف. يمضى ذهابا وإيابا فى سرعة أكبر من المنظر السابق وهم يتابعونه بذهول).

الزوجـــة : إنه يكاد يجرى .

الأحـمـر : يزداد جنونه استفحالا .

الأبـيـض : لا يبدو عليه الكبر مثلنا .

الزوجـــة : ما فائدة أن نتساءل عما يجعله يتبعنا؟!

الأبـيـض : ولا تؤثر فيه وسائل دفاعنا .

الأحـمـر : مهما يكن من أمر فلا يجوز أن نطلعه على ضعفنا .

الأبـيـض : أتؤمن بجدوى ذلك؟

الأحـمـر : بلا أدنى شك ، فلولا علمه بعملنا ونجاحنا وعلاقاتنا بذوى الشأن لقضى علينا من قديم!

(صمت)

الزوجـــة : أتوجد فائدة من مناقشته؟

الأحـمـر : يقينا لا .

الأبـيـض : واضح أنه يتبعنا أينما نذهب ولكنه لا يتعرض لنا بسوء .

الأحمر : (فى غيظ) ألم يجعلنا طول العمر نتوقعه ونفكر فيه ونضيق به ونتوجس منه؟

الأبيض : نحن الذين نفعل ذلك لا هو .

الأحمر : يا لك من مكابر!

الزوجة : كان وما زال هما ثقيلا على القلب .

الأحمر : كيف فاتنا طيلة عمرنا أن نهاجمه ولو مرة؟!

الزوجة : حذار أن تفكر فى ذلك .

الأبيض : لم نعد أهلا للمعارك .

الأحمر : ولكننا كنا أهلا يوما ما!

الأبيض : شغلتنا المعارك الأخرى .

الأحمر : لا يخلو صوتك من تأنيب أبدا .

الأبيض : دائما ألام على قول الحق!

الأحمر : أنت عبء طالما حملته فوق عنقى .

الأبيض : علم الله أنك كنت العبء لا أنا وأننى تحملتك بصبر يفوق طاقة البشر .

الأحمر : يا لك من مكابر جاحد!

الأبيض : يا لك من جاهل!

الأحمر : لولاك ما جرؤ هذا المجنون على مطاردتنا والاستهزاء بنا .

الأبيض : إنه يستهزئ بك وحدك .

(الزوجة تفصل بينهما لتلطف الجو. يسود الصمت. تتعلق الأبصار بالرجل المتحرك بسرعته المفزعة).

الأحمر : عندى فكرة .

الأبيض : كل ما فعلناه كان من وحى فكرك ولكنه لم يجد .

الأحمر : أتستهين بما فعلنا؟

الأبيض : كلا، إنه عظيم، ورغم مخالفته للقانون أحيانا فهو عظيم، ولكنه لم يرحنا من مطاردته.

الأحمر : لم لم نلجأ إلى المسئولين عن الأمن؟

الأبيض : لأَننا كنا وما زلنا نخشاهم!

(يتبادلان نظرة تحد ولكن الزوجة تفصل بينهما مرة أخرى).

الزوجة : لجأ كثيرون إلى رجال الأمن ولكن ماذا كانت النتيجة؟.. لا شيء، وهو لا يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون، ولعله يعتمد على صلاته بأناس فى أقوى مواقع السلطة، بل علمت أن كثيرين من رجال الأمن أنفسهم يعانون منه مثلنا.

الأحمر : لعله يطمع فى شيء مما نملك؟

الأبيض : ولكنه يطاردنا مذ كنا لا نملك شيئا.

(الأحمر يضرب الأرض بقدمه مغيظا محنقا)

(صمت)

الأبيض : (وكأنه يحدث نفسه) أهو يطاردنا حقا؟ وإن صح ذلك فلماذا يطاردنا؟ وهل يعمل لحسابه أو لحساب شخص آخر؟

(صمت)

الأبيض : (مسترسلا فى تفكيره) أضعنا وقتا طويلا دون أن نعنى عناية حقيقية بذلك.

الأحمر : (هازئا) لو عنينا بذلك عناية حقيقية لما تبقى لنا وقت لتحقيق شيء ذى قيمة!

الأبيض : نحن الآن على المعاش وبلا عمل جدّى.

الأحمر : ولكننا طاعنون فى السن، ومرضى، ولا قدرة لنا على البحث!

(صمت)

الزوجة : (بغيظ) ترى ما الذى يجعله يحافظ على قوته رغم مرور الزمن؟

الأحمر : (فى سخرية) ربما لأنه لم يتزوج!

الزوجة : (غاضبة) يا لك من جاحد أنانى!

الأحمر : (للأبيض) لا داعى لطرح أسئلة والانشغال بها على حين أنها واضحة الجواب، فهو يطاردنا بلا ريب، ويطاردنا ليقضى علينا، ولا يهم بعد ذلك أن يكون عمله لحسابه أو لحساب شخص آخر.

الأبيض : ولكن يخيل إلىّ أحيانا انه بفضله حققنا ما حققنا من عمل.

الأحمر : ليس بفضله ولكن دفعا لمطاردته الملحة.

الأبيض : (بنبرة اعتراف) الحق أننى قمت سرا بتحريات كثيرة عنه.

الأحمر والزوجة (معا) : حقا؟

الأبيض : بلا نتيجة تذكر.

(صمت)

الأبيض : حسبته مندوبا لمصلحة الضرائب أو مرشدا للمخابرات أو موظف إحصاء، أو من شرطة الآداب!

الأحمر : جميع أولئك ثقلاء ولكن ليس لهذا الحد.

الأبيض : وحتى تلك المراكز الهامة تبين لى أنهم لا يعرفونه أكثر منا ويعانون من مطاردته مثلنا.

الأحمر : ولم سكتوا عنه وهم يقضون على الآلاف بلا حساب؟
الأبيض : بلَ إن محاولات قتله وفيرة ولكنها تبوء عادة بالفشل.
الزوجة : (فى عصبية) سرعته تدير رأسى!

(ينظرون إليه بحنق. يضرب الرجل الهواء بالسوط محدثا الطرقعة المخيفة. يتجمعون ويغادرون المكان ببطء حسبما تسمح به سنهم المتقدمة.

الرجل يستمر فى حركته على حين يهبط الظلام).

٦

(يضاء المسرح. الأحمر والأبيض والزوجة ولكنهم تغيروا تغيراً مذهلا، عادوا إلى منظر الشباب وملابسه كما رأيناها سابقا. واضح أنهم صبغوا الشعور وشدوا الجلود وفعلوا المستحيل لاستعادة شبابهم الضائع. يتبادلون النظرات وهم يبتسمون فى ارتياح وسرور).

الأحمر : آخر حيلة ولكنها تجوز على الجن الأحمر نفسه.
الزوجة : ما أحلى الرجوع إلى الشباب.
الأبيض : ما أحلاه.
الأحمر : لن يعرفنا ولو دار حول الأرض.
الزوجة : استجب يا رحمن.
الأحمر : من اليسير أن يتابع أناسا وهم يكبرون ولكن كيف يخطر له أنه يمكن أن يرجعوا يوما إلى الشباب؟!
الزوجة : قلبى يحدثنى بأننا نجونا من مخالبه.

الأحمر : وليعوضنا الله عما بذلنا من جهد ومال .
الزوجة : طبيب التجميل وما أخذ نظير تجديد جلد الوجه .
الأبيض : والصبغة العجيبة وارد الخارج .
الأحمر : والحقن، لا تنسوا الحقن .
الزوجة : والهرمونات والحمامات الطبية والتدليك الفنى .
الأحمر : (فى حبور) حل لغز ما وراء الموت أقرب إليه من التعرف علينا .
الأبيض : هى على أى حال آخر ما فى الجراب من حيل .

(صمت)

الأحمر : وثمة مفاجأة جديدة تتم بها اللعبة وتحقق كمالها المنشود .
الأبيض : أكثر مما تحقق بالفعل؟
الأحمر : نعم .
الأبيض : ترى ما هى؟
الأحمر : عروس جديدة!

(الزوجة تصرخ غاضبة محتجة مهددة)

الأحمر : لا تسيئى فهمى .

(الزوجة مستمرة فى صراخها الغاضب)

الأحمر : اعلمى أننى أعمل من أجل سعادة الجميع!
الزوجة : غدر وإجرام!
الأحمر : من أجل عذابك حيال مطاردته لنا اللعينة .
الزوجة : لا داعى مطلقا لهذه المفاجأة، ما حققناه كاف وأكثر .
الأحمر : انضمام العروس إلى الصورة الجديدة يغيرها تغيرا مطلقا .

الـزوجـــــة : أنت تستطيع خداعه ولكنك لا تستطيع خداعى .

الأحـــمـــر : لا مجال للشهوات ولكننا ندافع عن حياتنا .

الـزوجـــــة : لا تحاول خداعى، أنا أعرفك أكثر مما تعرف نفسك .

الأحـــمـــر : مضى زمان الحب، وما شبابنا الراهن إلا قناع، هل تجدين رغبة فى الجنس؟

الـزوجـــــة : (بتحد) نعم .

الأحـــمـــر : يالك من عجوز مستهترة .

الـزوجـــــة : وعندك أضعاف ذلك .

الأحـــمـــر : لا تضيعى من أيدينا آخر فرصة لنا .

الـزوجـــــة : إن أردت عروسا جديدة فهاك أنا!

الأحـــمـــر : اتقى الله يا ولية وجربى قرعتك فى الحج هذا العام .

الـزوجـــــة : إنى صالحة للحب كما أنى صالحة للحج .

الأحـــمـــر : ألم تزجرينى كثيرا مذكرة إياى بالأبناء والأحفاد؟

الـزوجـــــة : لا تذكرنى بتلك الأيام اللعينة .

الأحـــمـــر : أؤكد لك أنك غير صالحة للحب .

الـزوجـــــة : جرب . . العبرة بالتجربة .

الأحـــمـــر : أنت مجنونة!

الـزوجـــــة : أنتَ غدار خائن .

الأحـــمـــر : (للأبيض) هل خرست؟ . . أسعفنا برأيك .

الأبـــيـــض : أمهلنا وقتًا للتفكير .

الـزوجـــــة : (للأبيض) حتى أنت تريد أن تفكر!

الأحـــمـــر : فات الوقت، العروس الجديدة حقيقة مفروغ منها .

(الزوجة تعاود الصراخ)

الأبـــيـــض : كان يجب أن نتشاور!

الـزوجـــــة : لن يكون ذلك أبدا .

الأحــــمـــــر : لا أسمح بكلمة أخرى . . وإلا اضطررت إلى الطلاق !

الـزوجـــــة : تطلقنى وأنا جدة؟ . . حتى الوحوش تستنكف ذلك .

الأحــــمـــــر : اذهبى إلى أولادك قبل أن يعصف الغضب برأسى .

(الأبيض يتـدخل لإنقـاذ الموقـف. يأخـذ الزوجـة من يدها إلى الخارج وهو يحـادثها بصوت غيـر مسمـوع.. ثم يعود الأبيض وحده).

الأبـــيــــض : يا لك من جرىء حقا !

الأحــــمـــــر : أظهر سرورك الآن يا منافق !

الأبـــيــــض : لن تجد عروسا مناسبة أبدا . .

الأحــــمـــــر : عروس فى السادسة عشرة مثل لهطة القشدة .

الأبـــيــــض : أصغر من حفيدتنا .

الأحــــمـــــر : ليست حفيدتنا على أى حال .

الأبـــيــــض : لا تحرجنا .

الأحــــمـــــر : ستعلم أنها أقوى أثرا من كافة العقاقير .

الأبـــيــــض : يا لها من مغامرة !

الأحــــمـــــر : لن تكون أفظع من المطاردة اللعينة .

(الأحمـر يصفق بيديه. نسمـع موسيقى الزفـة. تدخل العروس بين شابين همـا أمين من أمناء الشرطة حاملا جـهازه اللاسلكى ومأذون عصـرى متأبطا دفتره مـرتديا بنطلونا وقميصـا أمريكيا متـعدد الألوان. يقـدمان العـروس ويذهبان.. الثـلاثة يتبـادلون النظرات..).

الأحــــمـــــر : مبارك يا عروس .

(العروس تضحك ضحكة عذبة دون أدنى ارتباك).

الأحـــمـــر : خذى راحتك على آخرها فأنت فى بيتك .
العـــروس : شكرا . . ولكن .
الأحـــمـــر : أفصحى عما تريدين بكل حرية .
العـــروس : أشعر كأنى فى حاجة إلى تشجيع .
الأحـــمـــر : قلت لك إنك فى بيتك .
العـــروس : أعنى أنه من المفيد . . أعنى أن قليلا من . . الويسكى . .
الأحمر والأبيض: ويسكى!
العـــروس : قليل منه مناسب .
الأحـــمـــر : هل لك تجربة سابقة به؟
العـــروس : فى نطاق ما يسمح به عمرى .
(الأحمر والأبيض يتبادلان النظر فى ذهول. ينتحيان جانبا).
الأحـــمـــر : فى نطاق ما يسمح به عمرى!
الأبـــيـــض : سمعت كل كلمة . . ما رأيك؟
الأحـــمـــر : ما كان كان .
الأبـــيـــض : عظيم .
الأحـــمـــر : ولكن الخمر مضرة لنا ونحن لم نجدد الكبد .
الأبـــيـــض : ولم نجدد القلب ولا العروق .
الأحـــمـــر : الله معنا .
(يرجعان وهما يبتسمان)
الأحـــمـــر : ما أجمل أن نستغنى عن الخمر!
العـــروس : أتسمعنى وعظا فى ليلة الزفاف؟
الأحـــمـــر : كلا ، ولكنها الصحة .
العـــروس : أأنت مريض؟
الأحـــمـــر : كلا . . ما زلنا بعيدين عن سن الأمراض!

العـــــروس : اتفقنا!
الأحـــمـــر : (ضاحكا) يبدو لى أنك فتاة ذات ذكاء وتجربة.
العـــــروس : هذا هو طابع القرن!
الأحـــمـــر : لا أستبعد أن تكونى على إلمام بالتربية الـ... العاطفية.
العـــــروس : العاطفية؟
الأحـــمـــر : أعنى الجنسية؟
العـــــروس : أووه.
الأحـــمـــر : لكنها لم تقرر بعد فى المدارس!
العـــــروس : (ضاحكة) لكنها مقررة فى أماكن كثيرة!
الأحـــمـــر : يا لك من عروس مثيرة!
العـــــروس : إذا كنت ممن يخافون فلم زججت بنفسك فى الحياة الزوجية؟
الأحـــمـــر : لا خوف هناك ولكن للأسر العريقة تقاليدها.
العـــــروس : طظ!

(الأحمر يتظاهر بالضحك وكذلك الأبيض)

الأحـــمـــر : أسلوبك بديع ولكنه جرىء، أجرأ من أساليب العذارى!
العـــــروس : لم يعرف التاريخ إلا عذراء واحدة!

(الرجلان يتبادلان النظر فى ذهول. العروس تفتح حقيبة يدها وتخرج منها زجاجة ويسكى.. وتشرب.. وتمد بها يدها إليهما).

العـــــروس : يبدو أنك بخيل، خذ واشرب وإلا غضبت.

(الأحمر يحرج فيتناول الزجاجة ويشرب ثم يعطيها الأبيض فيشرب، وتنتقل الزجاجة بينهم).

العــــروس : ذلك مفيد جدا فى التغلب على الحياء!

الأحـــمــــر : (مندهشا) الحياء؟!

العـــــروس : نعم الحياء، أنت لم تر شيئا بعد.

الأحـــمــــر : نخب الحياء.

(الزجاجة تدور. فى نشوة يقبلان العروس فى الخدين فى وقت واحد).

الأحـــمــــر : (للعروس) لعلك مندهشة لأن القبل تنهال عليك من رجلين لا من رجل واحد.

العـــــروس : (وهى متنشية) القبل نعم مشكورة لا يجوز أن نفسدها بالتساؤل!

الأحـــمــــر : (ضاحكا) الحقيقة أن لك زوجين لا زوجا واحدا!

العـــــروس : (منقلة البصر بينهما) أرجو أن أجد فى ذلك الكفاية حتى أنعم بالاستقرار المنشود.

(الرجلان يتبادلان النظر ثم يغرقان فى الضحك. الزجاجة تدور مع القبلات).

الأحـــمــــر : لم نفلح فى إثارة دهشتك ولو مرة واحدة!

العـــــروس : عسير جدا أن تثار دهشة فى هذه الأيام.

(الأبيض يتنصت فى ترقب مفاجئ)

الأبـــيــــض : (للأحمر) سمعت شيئا؟

(الأحمر ينصت. يترامى وقع أقدام)

الأحـــمــــر : لعله عابر سبيل..

الأبـــيــــض : ولكنها أقدامه هو.

الأحـــمــــر : غير معقول، وحتى لو كان هو فلن يتعرف علينا..

العـــــروس : هل تتوقعان قدوم أحد؟

الأحمر : كلا.
العروس : أظن أن اثنين فيهما الكفاية!
(الرجل يدخل. هو هو كما رأيناه. يذهب ويجيء في سرعة تفوق سرعاته السابقة كلها).
الأحمر : اللعنة.
الأبيض : أعوذ بالله.
العروس : هذا الرجل أذكره.
الأحمر : أنت أيضا تعرفينه؟ هذا ما توقعته، إنه مجنون.
العروس : مثل جميع الطاعنين في السن فيما يبدو.
الأبيض : ولكنه ليس طاعنا في السن فيما يبدو.
العروس : كان صديقا لأبي..
الأحمر : (بإصرار) لنشرب.
(تدور الزجاجة بينهم)
الأحمر : لا مفر.
الأبيض : لا مفر.
العروس : ظننته يوما يطاردني للحب..
الأحمر : إنه مجنون بداء المطاردة.
العروس : لا يبعد أن يكون لطيفا خفيف الروح.
الأحمر : عرفناه أكثر منك.
(صمت)
الأحمر : (للرجل متحديا وهو ثمل) اجر.. اجر.. افعل ما تشاء.. ماذا يهم؟.. ولكن لا تعد نفسك منتصرا.. لن نقتنع بأنك تتعرف علينا بحاسة مجهولة.. أبدا.. الحكاية أن البلد ملأى بالجواسيس.. أنت على صلة

بالشرطى أو المأذون أو طبيب التجميل أو الصيدلى . . لا سر هناك ولا معجزة . . افعل ما تشاء . . اجر . . اجر حتى تقع مغشيا عليك . . وسوف نضحك كثيرا وطويلا . .

الأبيض : (للرجل) ليتك تشرب معنا ، الشرب صنع لنا معجزات . .

العروس : كيف أنساكما هذا الرجل عروسكما؟

(يدور الشراب والقبلات والأحضان)

الأحمر : (للرجل) سنفعل ما يحلو لنا تحت سمعك وبصرك ، سينبت فى رأسك قرنان وأنت تجرى كالمجنون . .

الأبيض : (للرجل) معذرة ، للخمر سلطان وللحب سلطان ، ولكننا فى الواقع نحترمك ، صدقنى فأنت تشغل من وقتنا أكثر مما تتصور ، وأنا مقتنع بأنك لا تتعرض لنا بأذى ، وأننا فى الواقع مسئولون عن كل شىء ، فنحن الذين نعمل ونحن الذين نتغير ونحن الذين نكبر ، ولا حق لنا فى أن نعلق عليك الأخطاء والمتاعب ، وبودى أن تقبل دعوتى للشراب!

الأحمر : (للأبيض) يا لك من منافق!

الأبيض : لا تفسد شهر العسل بسوء الأدب .

العروس : هل تزوجتمانى لقتل الوقت بالشجار والجدل؟

(يرجعون للقبل والأحضان والضحك . العروس والأبيض يرقصان . الأحمر ينظر نحو الرجل وهو يترنح من السكر) .

الأحمر : اجر . . لا يهم . . سيدور رأسك وتقع جثة هامدة . .

(العروس تتخلص من ذراع الأبيض ثم تقبل نحو الأحمر فيرقصان معا. الأبيض وهو يترنح ينظر نحو الرجل).

الأبيض: أود أن أقابلك على انفراد..

(الرقص مستمر وكذلك الرجل)

الأبيض: سيجرى بيننا حوار مفيد، وإن كان ثمة جديد فلعله يكمن فى صدرك الصامت..

(الرجل يضرب الهواء بسوطه محدثا طرقعة رهيبة..).

(الأحمر والأبيض يتلاصقان. يحاولان مغادرة المكان ولكن قدميهما لا تسعفانهما. يسقطان. يزحفان على أربع إلى الخارج حتى يختفيا تماما. العروس مستمرة فى الرقص وحدها.. الرجل تأخذ حركته فى التباطؤ رويدا رويدا حتى يقف تماما وهو يحرك قدميه (محلك سر). العروس ترقص وحدها أمام الرجل).

(ستار)

الجـــــــبـل

كهف فوق سطح المقطم. إلى اليسار ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليسرى ويمتد فوق السطح إلى الخارج. إلى اليمين ممر يبدأ من نقطة عند حافة الكهف اليمنى وينحدر نحو الخارج موحيا بالامتداد حتى سفح الجبل.

الكهف مظلم. ثمة أشباح. يد شبح تشعل المصباح المدلى من سقف الكهف. يتضح المنظر. يوجد رجل بالملابس البلدية مقيد اليدين والقدمين جالسًا على الجهة اليسرى من الأرض وأمامه من الناحية المواجهة خمسة من الشبان جالسين على الأرض أيضًا يرتدون القمصان والبنطلونات.

يتوسطهم عساف بمركز الرياسة. إلى يمينه إسماعيل وحلمى. إلى يساره رمزى وحسنى.

الرجل المقيد: (فى حال فزع) انقضضتم علىّ فى الظلام وأنا راجع فتوهمتكم لصوصا، وها أنا ذا أرى أنكم أبناء من حارتى، أنت عساف، أنت إسماعيل، أنت حلمى، أنت رمزى، وأنت حسنى، جيران وأبناء جيران، ما معنى ذلك؟ لماذا فعلتم بى ما فعلتم؟!

عساف: جئنا بك لنحاكمك.

الرجل: (وقد امتزج الفزع بالدهشة) قلت تحاكموننى؟

عساف : نعم .

الرجل : ما أنا بالمجرم .

عساف : إنك مجرم .

الرجل : وما أنتم بالقضاة .

عساف : نحن قضاة كما ترى .

الرجل : إن كنتم تريدون نقوداً . . .

عساف : (مقاطعا) لسنا لصوصا .

الرجل : ولست مجرما .

عساف : إنك مجرم وتعلم أنك مجرم .

الرجل : حذار يا أبنائى من الخطإ، القانون لا يغفل، ولا يفلت أحد من العقاب .

عساف : نشكر لك نصيحتك التى لا حاجة بنا لها .

الرجل : إنكم شبان، الحياة أمامكم طويلة وعريضة، ولستم قضاة .

عساف : نحن قضاة ما دام العدل لا يجد من يقيمه .

الرجل : إن كنتم قضاة فأين الدفاع؟

عساف : ما جدوى الدفاع وجريمتك جارية على كل لسان؟!

الرجل : إننى أقرأ الحكم فى أعينكم متجسدا .

عساف : وسبق أن حكم عليك كل متعامل معك .

الرجل : أمثالى يملئون الأسواق .

عساف : سيجيئون تباعًا . .

الرجل : ليس ذنبى ولكنه الزمن .

عساف : بل هو الجشع .

الرجل : وما عقوبتى فى تقديركم؟

عساف : القتل !

الرجل : (صارخًا) القتل؟ !

عساف : رجوعك يعنى هلاكنا .

الرجل : (متوسلا) أقسم لكم . . .

عساف : (مقاطعا) طالما حلفت كذبا بالطلاق !

الرجل : الرحمة !

عساف : قتلك رحمة بالعباد .

(يقفون وهو يرتعد. يحمله أربعة. الخامس يحمل خمس عصى غليظة ويتبعهم نحو اليسار. الرجل طيلة الوقت يستغيث)

(إظلام)

٢

(إضاءة)

(يرجعون متجهمى الوجوه. تمر فترة صمت في وجوم ثم يبدأ حسنى بالكلام وهو أسوؤهم حالا):

حسنى : أن تقتل إنسانا عمل فظيع حقا، لن أنسى نظرة عينيه ولا جمود الموت الناطق بالفناء، لا تعرف الحياة على حقيقتها إلا لحظة الموت، الحق لقد مت معه .

(صمت. **حسنى يجفف عرقه**) معذرة فإنها المرة الأولى .

رمزى : نحن مثلك . .

عـــســـاف : (متغلبا على وجومه) هل انهرتم وانتهيتم؟

رمزى وإسماعيل وحلمى: كلا . . كلا . . كلا . .

عـــســـاف : (مخاطبا حسنى) إنى مثلك تماما يا حسنى ولكن علينا أن نحترف ضبط النفس .

حـــســنى : تلزمنا أعصاب من فولاذ وقلوب لا تخفق!

عـــســـاف : علينا أن نتذكر دائمًا الظلم وأن نثق تمامًا بقوة العادة ، وقد تناقشنا طويلا ، واقتنعنا بكل قلوبنا ، وتعاهدنا على عمل لا رجوع فيه ، إنها رسالة ، والرسالة وقودها العذاب .

حـلـمـى : هذا ما ارتضيناه بوعى كامل .

عـــســـاف : واعتياد الظلم أفظع من اعتياد القتل .

حـــســنى : الظلم والقتل ، كلاهما فظيع .

إسـمـاعـيل : لتغفر لنا نوايانا الطيبة .

عـــســـاف : تذكروا أننا شرفاء ورحماء .

حـــســنى : ولكننا لن نعرف الابتسام .

عـــســـاف : لنكن شهداء .

رمـــزى : لنكن شهداء .

عـــســـاف : (بنبرة جديدة) علينا أن ننسى الجبل إذا رجعنا إلى الحارة .

حـلـمـى : نمارس حياتنا مثل بقية الناس .

إسـمـاعـيل : ونتساءل عن سر اختفاء عم فرجل مع الآخرين .

عـــســـاف : ونلعن اللصوص ونعطف على أولاده .

حـــســنى : أولاده؟! إنهم مظلومون مثلنا .

عـــســـاف : (بخشونة) نحن قضاة لا محامون ، والتاريخ نهر طويل يتدفق بالدم المسفوك تسعة أعشاره من دماء الأبرياء .

عــســــاف : (يتحرك نحو اليمين وهو يقول) : لا تنسوا أن دماءنا ستلتحم بدمائه البريئة ذات يوم .

(يذهبون واحدا فى إثر واحد).

(إظـــلام)

٣

(الكهف. عساف، إسماعيل، رمزى، حسنى)

عــســــاف: لندع لحلمى أن يوفق فى مهمته .

إسـمـاعـيل: فكرة طيبة ، المجرم زير نساء ، سرعان ما يقتنع بأنه قادم على سهرة طيبة .

رمــــــزى: ستهتز الحارة هذه المرة حتى الأعماق .

عــســــاف: سيؤمنون بأنه سفاح خطير .

رمــــــزى: لن يعطفوا على جلاديهم .

إسـمـاعـيل: من أسف أن الخوف سيجتاح الجميع .

حــســـنى: وربما فطنوا عاجلا إلى نوعية المختفين .

عــســــاف: لعله أنفع لرسالتنا .

حــســـنى: فى تلك الحال يخشى على الأبرياء من سوء الظن .

عــســــاف: الأبرياء لا خوف عليهم .

حــســـنى: قد يتعرضون للأذى .

عــســــاف: أشعر بأنك لم تبرأ بعد من ضعفك .

حــســـنى: ألا ترى أنى أعمل مثلكم؟

عـــســـــاف: أعنى القلب، فقد يستقل عن اليد واللسان!

رمـــــــزى: اطمئن إليه كما تطمئن إلى نفسك.

(تترامى نحنحة آتية من الخارج. يدخل حلمى يتبعه رجل فى ملابس بلدية فاخرة. الرجل يـدهش لرؤيته الآخرين ويتوقف عن التقدم)

الـــرجـــــل: (مخاطبا حلمى) ما معنى هذا؟!

(ينقضـون عليه بسـرعة وإحكام. يطرحـونه أرضا. يقـيدون قدمـيه وذراعـيه وهو يقـاوم عبـثا. يجلسـونه مكان الضحـية السابقة وهو ينظر إليهم فى فزع).

الـــرجـــــل: ما معنى هذا يا أبنائى؟.. محال أن تكونوا لصوصا.

حــلــــمــى: صدقت، ستعرف كل شىء.

عـــســـــاف: لسنا لصوصا كما قلت، نحن قضاة نحاكم مجرمى حارتنا.

الـــرجـــــل: (برعب) قضاة.. محاكمة.. مجرمون..!

عـــســـــاف: كما ترى.. وقد سبقك إلى هنا عم فرجل.

الـــرجـــــل: ماذا فعلتم به؟

عـــســـــاف: (مشيرا إلى اليسار) إنه مدفون فى الجبل.

الـــرجـــــل: ألا تخافون القانون؟!

عـــســـــاف: نحن رجال القانون الأسمى، دافع عن نفسك.

الـــرجـــــل: (بفزع) أنا فى عرضكم.. خذوا ما تشاءون.

عـــســـــاف: دافع عن نفسك.

الـــرجـــــل: (بضـراعة) صبـركم، فكروا قليـلا، فيم أختلف عن أى مالك فى مصر؟ ماذا يجديكم قتلى؟

عـــســـــاف: ينقص الظالمين واحدا.

الـــرجــــل : الأمر أكبر من ذلك، فكروا قليلا، لنتفاهم، تجعلون من أنفسكم قتلة بلا ثمرة حقيقية.

عـــســـاف : لديك أقوال أخرى؟

الـــرجــــل: ماذا أقول؟ ماذا يمكن أن يقال؟ ستبقى المشكلة، إنها أكبر مني ومنكم، قد يوجد حل ولكنه ليس فى القتل.

(يقفون. أربعة يحملونه إلى سطح الجبل، يتبعهم الخامس بالعصى).

(إظـــلام)

٤

(إضـــاءة)

(يرجعون بوجوه متجهمة. نلاحظ أيضًا أنهم أملك لأنفسهم من المرة الأولى. أما حسنى فقد انتحى جانبا على حال واضحة من السوء. أربعتهم يلاحظونه بقلق، وبخاصة عساف).

(صمت)

عـــســـاف : لا يمكن أن تمضى الأمور على هذا النحو.

(صمت)

عـــســـاف : إنى أتساءل متى تبرأ من ضعفك!

حـــســـنى : يستحوذ علىّ إحساس غريب، لعله المرض.

عـــســـاف : كلا، إنه أدهى وأمر.

حسنى : (بنبرة اعترافية) أخى عساف، ينبغى أن أصارحك بأن دفاع الرجل أقنعنى!

(فترة صمت)

عساف : ما شاء الله، وإذن فالرجل هو المظلوم لا أهل حارتنا!

حسنى : لا أعنى ذلك، إنما أعنى أن قتله لن يحل المشكلة.

عساف : اتفق رأينا فيما سبق على نقيض ذلك!

حسنى : (منفعلا) سنمضى من جريمة إلى جريمة، سنحترف الإجرام ونحن لا ندرى، بت أشعر بالمرض.

عساف : إنك مريض حقا، مريض الإرادة والروح.

حسنى : (بعصبية) العكس هو الصحيح!

عساف : حقا؟! كلامك يعنى أنك سليم وأننا المرضى؟

(صمت)

حلمى : (لحسنى) أهذا ما تعنيه؟

رمزى : (لحسنى) ماذا تقترح؟

عساف : بكل بساطة إنه يمهد للانسحاب.

حسنى : كلا.. أقترح أن نعدل جميعا عن خطتنا.

عساف : عن احتراف الإجرام؟

(صمت)

عساف : لا فائدة ترجى من مواصلة المناقشة، امكث قليلا فى هواء الليل النقى، استرخ فى هدوء، ثم نستأنف الحوار.

حسنى : (يتردد قليلا ثم يذهب ناحية اليمين ويخرج. يتبادلون النظرات).

عساف : ما رأيكم؟

حلمى : سوف يثوب إلى رشده.

إسماعيل: إنى لا أشك فى إخلاصه.
عساف: وإنى لا أشك فى إخلاصه، ولكن الضعف غزاه، ويجب أن نخشى عواقب ضعفه.
رمزى: لعله من الخير له ولنا أن ينسحب.
عساف: إنه حل قد يسفر عن عواقب وخيمة.
إسماعيل: لن يصلح رفيقا لنا.
عساف: أوافقك تماما، ولكن ما الخطوة التالية؟
رمزى: نعفيه من العمل.
عساف: من يضمن لنا سكوته؟
إسماعيل: لا شك فى إخلاصه.
حلمى: وكشف الأمر يودى به كما يودى بنا.
عساف: الضعف قد يؤدى إلى التهور أكثر مما تؤدى إليه القوة!

(صمت)

إسماعيل: احتمال بعيد جدًا.
عساف: وهل نضع أرواحنا ورسالتنا تحت رحمة الظروف؟
رمزى: لدى اقتراح آخر، أن يقتصر عمله على استدراج المجرمين.
عساف: لن يغير ذلك من واقع الأمر شيئًا.
إسماعيل: فلنجرب، لست متشائمًا.
عساف: دعونى أختبره..

(عساف يخرج ناحية حسنى. إسماعيل وحلمى ورمزى يتبادلون النظرات فى حيرة واضحة).

إسماعيل: الصبر، سينتهى الصراع إلى خير.
رمزى: لعله.

حــلـــمــى : صدرى منقبض .

(يرجع عساف متثاقل الخطوات. يجلس القرفصاء دافنا وجهه بين ركبتيه. ينظرون نحوه بقلق واستطلاع).

إسـمـاعـيل : ماذا وراءك

(صمت)

رمـــــــزى : يبدو أنك لم تقنعه؟

(صمت)

حــلـــمــى : تكلم يا عساف، لا تسلط علينا الهواجس .

(يذهب إسماعيل إلى الخارج. تترامى منه آهة فزع. يرجع منفعلا نحو عساف).

إسـمـاعـيل : لقد خنقته !

(يضطرب رمزى وحلمى. يهرعان إلى الخارج. يرجعان أشد اضطرابا).

إسـمـاعـيل : من يصدق؟

رمـــــــزى : إنه قرار انفرادى ما كان ينبغى أن يتخذ دون الرجوع إلينا .

حــلـــمــى : نحن نتدهور وننتحر .

عـــســـاف : **(رافعا وجها متقلصا من الحزن)** الألم يمزقنى .

إسـمـاعـيل : **(بحدة)** هيهات أن يرده ذلك إلى الحياة .

عـــســـاف : لم يدع لى فرصة الاختيار .

إسـمـاعـيل : نحن نعمل كوحدة لا تتجزأ فلم انفردت بالقرار؟

عـــســـاف : لقد تحملت عنكم الألم وحدى .

إسـمـاعـيل : لقد قضيت علينا بألم لا يمحى .

عـــســـاف : أقدمت على الجريمة دفاعا عنكم وعنى وعن الرسالة، إنى سريع الحزن والألم .

إسـمـاعـيل: إنك قاس فوق ما تصورت.
عـسـاف: الرحمة وحدها هى التى تحركنا.
إسـمـاعـيل: يا للعجب!.. كيف طاوعتك يداك؟!
(عساف يدفن وجهه بين يديه. صمت).
(إظـلام)

٥

(إضـاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى. وجوههم جادة ولكن يبدو أن ذكرى حسنى قد جرفتها الأحداث).
حـلـمـى: لم يعد للحارة من حديث إلا حديث السفاح الخفى.
عـسـاف: عظيم.
إسـمـاعـيل: أهلى يتساءلون أين أمضى بعض الليالى حتى الفجر!
عـسـاف: إنه سؤال يتردد فى بيتى أيضًا ويثير متاعب.
إسـمـاعـيل: لذلك يتولانى شعور أحيانا بأننى مطارد.
حـلـمـى: وقد يربط قوم بين غيابنا واختفاء الضحايا!
عـسـاف: لقد اخترنا وسلمنا بالمصير المحتمل.

* * *

(يدخل رمزى متأبطا ذراع كهل. يدهش الرجل ويدهش كذلك عساف وإسماعيل وحلمى).
الـكـهـل: أين نحن؟ (رمزى يدفعه فيوقعه. يتعاونون على تكبيله على

رغم مقاومته وصراخه. يتبادلون النظرات فى صمت).

خدعتنى يا رمزى، ماذا أرى، أنتم لصوص؟!

عساف: لنحمله إلى الخارج حتى نتشاور. **(يمضون به إلى اليسار ثم يرجعون) (لرمزى)** إنه ليس من كنا ننتظر ولا هو من المدانين.

رمزى: لكنه لا يختلف عنهم فى شىء.

عساف: ما جريمته؟

(صمت)

حلمى: المسألة بصراحة أنه نجح فى أن يكون خطيب البنت التى يحبها رمزى.

عساف: كيف تقحمنا فى شئونك الخاصة؟

رمزى: إنه كهل وهى فتاة فى السادسة عشرة، استغل فقرها، وفضلا عن ذلك فهو فاسق بدليل مجيئه معى جريا وراء سهرة محرمة.

عساف: مسألة شخصية.

رمزى: بل إنه استغلال دنىء للضعفاء.

عساف: قد تكون البنت آثرته باختيارها.

حلمى: لا تملك دليلا ضده، ثم إنها مسألة خاصة.

رمزى: لها صفة عامة فى رأيى.

عساف: لا يمكن أن نقتل لمثل هذه الأسباب.

حلمى: أتفق معك.

إسماعيل: وأنا كذلك..

رمزى: هل نطلق سراحه ليفشى سرنا؟

عساف: للأسف لا مفر من قتله ولكننا لن نقتله فلسنا مجرمين.

رمــــــزى: إنك تلقى ألغازا؟
عــســـاف: إنى واضح تماما، عليك وحدك أن تقتله، وعليك وحدك أن تدفنه.
(رمزى ينظر نحو إسماعيل وحلمى ولكنهما يوافقان صامتين. أخيرا يتناول عصاه ويندفع نحو اليسار).
عــســـاف: سيصبح منذ الآن مجرما.
حــلــمــى: أجل.
إسـمــاعـيل: الحق أننا شركاء له فى جريمته.
عــســـاف: ماذا؟
إسـمــاعـيل: ها هو ذا برىء يقتل بموافقتنا واقتراحنا، ماذا تريدون أكثر من ذلك؟
عــســـاف: هل عندك حل أوفق؟
(إسماعيل يصمت).
عــســـاف: (لحلمى) هل عندك أنت؟
حــلــمــى: كـــلا.
عــســـاف: هل من سبيل لإنقاذ شرفنا؟
إسـمــاعـيل: لن تنقذه قوة فى الأرض.
عــســـاف: بل توجد وسيلة لإنقاذه!
إسـمــاعـيل: حقـــا؟
عــســـاف: أن نعاقب المجرم بما يستحق.
إسـمــاعـيل: (فزعا) تقتله كما قتلت حسنى؟
عــســـاف: (ساخرا) إنما أشير إلى الطريق الصواب ولكما الاختيار.
إسـمــاعـيل: إنه فوق ما نستطيع.
عــســـاف: كونا مجرمين إذن.

حلمى : لننس الأمر كله .
عساف : هيهات .
حلمى : لا مفر من ذلك .
عساف : إنه الضعف يغزونا مرة أخرى .
إسماعيل : أصبحت الحياة كريهة .
حلمى : لننس الأمر ولنواصل السير ، أصبحت الحياة كريهة حقا .
عساف : لقد جردتنا هذه الجريمة من شرفنا .
(يرجع رمزى غاض البصر . يقف مستندا إلى الجدار . يسود صمت) .

(إظلام)

٦

(إضاءة)

(عساف، إسماعيل، حلمى، رمزى أمام ضحية جديدة مكبلة بالحبال. عند رأس الممر الأيمن خارج الكهف تقف فتاة متنصتة).

عساف : انتهى التحقيق فلنحمله .

(يحملونه ناحية اليمين مثل كل مرة سابقة).

(الفتاة تدخل الكهف بحذر، متوارية وراء الجدار تصرخ فزعة وتقع مغمى عليها).

(يرجع الشبان الأربعة فزعين وبأيديهم العصى. عساف يركع

إلى جانب الفتاة على حين يجرى الآخرون نحو المخرج الأيمن).

عساف : **(بحنان)** هبة . . حبيبتى . . ماذا جاء بك؟!

(يربت خدها. يرجع الشبان).

إسماعيل: لا يوجد أحد، كيف جاءت؟!

عساف : **(للفتاة)** هبة . . هبة . . أفيقى .

رمزى : ماذا جاء بها؟

(تأخذ الفتاة فى الإفاقة. تنقل عينيها بين الوجوه. تتذكر. تقف فزعة).

هبة : **(لعساف)** ابعد عنى، إنك قاتل، كلكم قتلة .

عساف : مهلا، لسنا قتلة، اهدئى حتى أطمئن عليك .

هبة : لا تمسنى . . ابعد . .

عساف : مهلا . . كيف جئت إلى هنا؟

هبة : إنه حظى، لأعرفك على حقيقتك، أنت قاتل؟!

عساف : سأشرح لك كل شىء .

هبة : لقد رأيت بعينى . . رأيت القتل والدم .

عساف : ماذا جاء بك يا هبة؟

هبة : كنت عمياء، لاحظت تغيبك ليلة بعد أخرى، ظننت . . المهم أننى تبعتك .

عساف : يا لسوء الحظ!

هبة : يا للقتل والدم والوحشية .

(تتحول لتذهب . يقف رمزى فى طريقها) .

هبة : دعنى أذهب .

(يتبادلون النظرات) .

حـلـمـى : غير ممكن .
إسماعيل : هذا مفهوم تماما .
هبـة : فيم تفكرون؟
رمـزى : لا يمكن أن تذهبى ، هذه هى الحقيقة الأليمة .
هبـة : ماذا تعنى؟
إسماعيل : حقيقة أليمة حقا .
حـلـمـى : أى لعبة قذرة دامية!
رمـزى : **(لعساف)** تكلم يا عساف .
(عساف يئن صامتا) .
رمـزى : لا حيلة لنا .
هبـة : ماذا تريد؟
رمـزى : لن ترجعى أبدا .
هبـة : **(وهى فى رعب متزايد)** ماذا تقصد؟
(تنظر نحو عساف فيزداد منها قربا) .
عسـاف : دعوا المسألة لى .
رمـزى : أوضح!
عسـاف : يلزمنى وقت للتفكير .
رمـزى : الأمر واضح جدا ولعلك لم تنس مصرع حسنى!
(عساف ينظر إلى رمزى بقهر) . تكلم يا عساف .
عسـاف : **(بانفعال)** لا .
رمـزى : لا؟! ماذا تعنى؟!
عسـاف : قلت لا . .
رمـزى : أتريد أن تضحى بنا من أجل حبيبتك؟ **(هبة تقترب أيضا من عساف)** إنها بريئة ، سيئة الحظ ، ولكن لا مفر من

قتلها . . (هبة تصرخ فزعة) عليك أن تقتلها وعليك أن تدفنها .

إسماعيل : يجب أن ينتهى هذا العذاب .

حلمى : لقد حلت بنا اللعنة . .

رمزى : إنها مهمتك يا عساف .

هبة : (لعساف) أنت تقتلنى؟

عساف : كلا . . لن يمسك سوء .

رمزى : هل تعنى ما تقول؟

عساف : (بتحد) كما تسمع وترى .

رمزى : ها أنت ذا تنكشف على حقيقتك .

عساف : لن يمسها سوء وأنا حى .

رمزى : (للآخرين) لنتخذ قرارا .

إسماعيل : صبرك .

رمزى : حتى متى؟

عساف : اعتمدوا على، إنها مشكلتى وسأجد لها الحل المناسب . .

رمزى : إنه قرار غير قابل للتأجيل .

عساف : نهرب معا، أنا وهى . .

رمزى : وتتخلى عن الرسالة وعنا؟

عساف : إنه الحل الوحيد .

رمزى : بل يوجد حل آخر، أن تقتلها وتدفنها بنفسك .

(ثم ينظر رمزى إلى إسماعيل وحلمى محتدا ويقول) تكلما . . ما معنى الخرس فى موقف البيان؟

حلمى : الحقيقة واضحة .

إسماعيل: هذا حق .

رمزى: إنه قرار إجماعى . .

عساف: إنه المستحيل . .

رمزى: نعفيك من التنفيذ ونقوم به نحن .

(هبة تصرخ متعلقة بعساف) .

عساف: لن يتم هذا وأنا حى . .

رمزى: **(منقضا عليه بعصاه)** إذن يتم وأنت ميت .

(يتبادلان الضرب. يسقط رمزى) .

(هبة تندفع نحو اليمين هاربة. حلمى يتبعها بعصاه. يندفع عساف فى أثر حلمى فيعترضه إسماعيل ولكنه يقتله وينطلق خارجا) .

(إظلام)

٧

(إضاءة)

(يرجع عساف حاملا هبة بين يديه.يضعها على الأرض. ينظر إليها حزينا).

عساف: عندما يتجاوز الشعور بالألم حده يفقد الإحساس بذاته . لذلك فإنى هادئ وسعيد . لولا أن الوقت غير مناسب لغنيت ورقصت . الوداع لكل شىء طيب أو قبيح . ولتسعفنى سعادتى على دفن الحبيبة والزملاء والأمل .

وأقول لأى هاتف بأننى لن أعترف ولن أنتحر . فى سطح الجبل الغائص فى الظلام متسع للتخبط الجنونى الشمل .
امض أيها الشبح متلقيا الخلاء بخلاء أشد، مستعذبا التحدى بلا عون ولا هدف، مستشرفا ضربات المجهول ومفاجآت الغيب، مستعذبا الألم والسخرية وذكريات الأحلام الجميلة . .

الشيطان يَعظ

مسرحية فى فصل واحد

مستوحاة من «مدينة النحاس»

ألف ليلة وليلة

١

(حجرة ذات أسلوب مغربي يتصدرها ديوان يجلس عليه موسى بن نصير).

(يدخل حاجب، ينحني تحية).

الحاجب : مولاى الأمير، قد وصل الأمير طالب بن سهل مندوب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان . .

(موسى يقف ثم يتجه نحو الباب. يدخل الأمير طالب بن سهل على حين ينسحب الحاجب. يلتقيان بالأحضان وسط الحجرة).

موسى بن نصير : أهلا وسهلا ومرحبا برسول أمير المؤمنين .

طالب بن سهل : أهلا بكم أيها الأمير موسى بن نصير، وإليك أحمل سلام مولانا الخليفة .

(يجلسان على الديوان جنبا لجنب).

موسى بن نصير : أطال الله بقاء مولانا للإسلام والمسلمين .

طالب بن سهل : تبلغنا أنباء طيبة عن المغرب .

موسى بن نصير : إنه يقبس أنواره من المشرق بفضل الله العظيم وحكمة خليفتنا .

طالب بن سهل : إنك أمير حائز الرضا، فليتم الله نعمته عليك .

(طالب بن سهل يصمت قليلا ثم يواصل).

طالب بن سهل : معى إليك رغبة لأمير المؤمنين.

موسى بن نصير : إنى رهن إشارة مولانا الخليفة.

طالب بن سهل : إنه يريد قمقما من قماقم العفاريت!

(موسى بن نصير يؤخذ بما سمع فيتطلع إلى محدثه صامتا).

طالب بن سهل : فى مجلس سمر جرى الحديث إلى ذكر العفاريت العصاة حبيسى القماقم فتاقت نفس مولانا إلى امتلاك أحدها ليرى بعينه ويسمع بأذنه ويقتنع بعقله.

موسى بن نصير : رغبة مولانا واجبة علىّ، ولكن ماذا أملك لتحقيقها؟

طالب بن سهل : قيل من ضمن ما قيل إنه توجد قماقم من قديم الزمان فى صحرائكم.

موسى بن نصير : أشهد الله على أننى لا أعلم عنها إلا السماع والظن. ولكن ثمة رجلا طاعنا فى السن يعد أخبر الناس بصحرائنا، حاضرها وماضيها، فضلا عما حباه الله به من حكمة، فلنرسل فى طلبه.

(موسى بن نصير يصفق يدا على يد، يدخل الحاجب. على حين يهبط الظلام).

٢

(إضاءة)

(موسى بن نصير وطالب بن سهل. يدخل الحاجب).

الحـاجـب : **الشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمُّودى. (ينسحب الحاجب. يدخل الشيخ. عجوز وقور. يرفع يديه تحية. يشير له ابن نصير بالجلوس فيجلس على وسادة بين أيديهما).**

موسى بن نصير : مرحبا بالشيخ المبارك.

عبد الصمد : **(حانيا رأسه)** عظم الله المرسل ورسوله.

موسى بن نصير : إنك يا شيخ عبد الصمد رجل الصحراء دون منازع.

عبد الصمد : هى حياتى ومماتى أيها الأمير.

موسى بن نصير : لك علم ولا شك بما يقال عن قماقم العفاريت بها؟

عبد الصمد : **(باهتمام)** هذا ما توكده لنا الكتب القديمة.

طالب بن سهل : فى أى موقع من مواقعها؟

عبد الصمد : يقال إنها مستقرة فى قعر بحيرة بمدينة النحاس.

طالب بن سهل : وما مدينة النحاس؟

عبد الصمد : مدينة قديمة، يقال إنها ازدهرت قبل التاريخ المعروف بعشرين ألف سنة، لا يعلم عنها أكثر من ذلك، لم يذهب إليها أحد ولم يجئ منها أحد، قد تكون حقيقة وقد تكون خرافة.

طالب بن سهل : ألم يسع ساع إلى اكتشافها؟

عبد الصمد : ذاك ما يفوق طاقات الفرد والجماعة.

موسى بن نصير : مولانا الخليفة يرغب فى الحصول على قمقم من قماقمها!

عبد الصمد : **(يصمت متفكرا ثم يقول)** رغبة مولانا على الرأس والعين، ولكن الله أمرنا بالشورى، ومن يمد سلطانه بقوة القرآن فليس به حاجة إلى قوة العفاريت!

طالب بن سهل : اقتضت حكمته أن يسخرها فى خدمة الإسلام والمسلمين.

عبد الصمد : إنها مهمة شاقة حقا أيها الأمير، فعلينا أولا أن نكتشف موقع فارس من نحاس إذا فركت يده أشارت إلى مكان المدينة.

موسى بن نصير : ستجد منى كل عون.

عبد الصمد : نحتاج إلى قافلة كاملة ومؤن، وقوة وسلاح، وحذر ودهاء، فلعل المدينة ما زالت على قيد الحياة، ولعلها تستطيع التصدى للغرباء، بل لعل حاكمها قد سخر عفريتا لخدمته.

(موسى بن نصير وطالب بن سهل يتبادلان النظر برهة).

طالب بن سهل : لو كان لديهم عفريت مسخر لتسلطوا به على العالم.

موسى بن نصير : سأشرع من فورى لإعداد الحملة وسأكون على رأسها.

طالب بن سهل : ولن أتخلف عنها.

عبد الصمد : فليسدد الله خطانا وليجنبنا الضلال.

(يهبط الظلام)

٣

(إضاءة)

(مدخل مدينة النحاس. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودى).

(ينظرون إلى الداخل وقد لفه ظلام الفجر).

موسى بن نصير : يا لها من رحلة خيالية فى مشقتها، لقد أرهقت الجند والجمال.

طالب بن سهل : لم يصادفنا حولها حى.

موسى بن نصير : اصبر، سوف ينقشع الظلام وتشرق الشمس.

طالب بن سهل : أليس غريبا أنه لا يوجد حارس واحد فى مدخل المدينة؟

عبد الصمد : لعل عزلتها الكاملة أغنتها عن الحراس.

طالب بن سهل : لم أعرف صمتا كهذا الصمت.

عبد الصمد : أهو صمت النوم؟

طالب بن سهل : ألا ينبح فيها كلب أو يصيح ديك؟

موسى بن نصير : ترى أين موقع البحيرة؟

عبد الصمد : ناحية المشرق غير بعيد من المدخل.

(يأخذ الظلام فى الانقشاع ويتجلى رويداً داخل المدينة).

(ميدان مكتظ بالناس، فى عمقه قصر، تقوم على دائرة محيطه الحوانيت وتتفرع عنه الطرقات. الرجال الثلاثة يتراجعون فى حذر).

موسى بن نصير : متى جاءوا؟ . . هل نستدعى الجنود؟

طالب بن سهل : انظر جيداً، إنهم لا يتحركون.

عبد الصمد : أجل.

طالب بن سهل : لا حركة، لا صوت، إنهم أصنام.

موسى بن نصير : هذه وجوه آدمية لا تماثيل.

طالب بن سهل : صدقت، هل يتحركون فجأة؟

موسى بن نصير : انظر إلى هيآتهم، كأنهم تجمدوا بغتة، توجد امرأة

على عرش، حولها حراس وحجاب، الجمهور منه من تجمد وهو يرقص أو وهو يهتف، هذه المرأة تجمدت وهى تزغرد، هذا الرجل تجمد وهو يصفق.

عبد الصمد : ليس فى وسع حى أن يتجمد بهذا الكمال، ألا تطرف له عين؟

موسى بن نصير : أترى أنه الموت؟

عبد الصمد : إنى أشم رائحته.

موسى بن نصير : وكيف لميت ألا يتهاوى ويتغير؟

طالب بن سهل : وأين بقية السكان؟ ألا يجىء شرطى أو عابر سبيل؟

عبد الصمد : سأقدم على مغامرة، بسم الله الرحمن الرحيم **(ثم رافعا صوته)**. . يا هوه. . يا عباد الله. . **(صمت)**.

موسى بن نصير : لا استجابة على الإطلاق.

طالب بن سهل : نحن حيال لغز.

عبد الصمد : لله ملك السموات والأرض.

طالب بن سهل : لابد من اكتشاف الحقيقة. . اتبعانى.

(يتقدم، يتقدمون فى حذر، يلمسون المتجمدين، يشقون طريقهم بينهم حتى عرش المرأة).

موسى بن نصير : هؤلاء بشر وليسوا بتماثيل.

عبد الصمد : أموات، ولكن أى موت؟

طالب بن سهل : **(مركزا بصره على المرأة)** يا لها من امرأة جميلة.

موسى بن نصير : قصر جميل وحوانيت ثرية، متى وكيف تخلت عنها الحياة؟

طالب بن سهل : كيف حافظت على أشكالها وتوازنها، ما أجمل هذه المرأة!

عـبـد الـصـمـد : قد يطول بنا الموقف، وهيهات أن نجد لهذا اللغز حلا، وقد نعود فيما بعد إلى هنا، أما الآن فلا يجوز أن ننسى مهمتنا.

موسى بن نصير : (متحركا وراء عبد الصمد) صدقت.

(ثم ينظر خلفه إلى طالب بن سهل).

موسى بن نصير : هلم أيها الأمير، هلم إلى البحيرة، احذر أن تقع في شراك وهم.

(يهبط الظلام)

٤

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يرمون بالشباك في بحيرة ويسحبونها في دأب وصبر. تخرج شبكة عبد الصمد وفيها قمقم).

مـــــوســى : الله أكبر.

طالب بن سهل : قادر على كل شيء.

عـبـد الـصـمـد : يسبح له الإنس والجن وكل حي وجماد.

مـــــوســى : قمقم صغير لا يتصور الإنسان أنه يحبس في بطنه هذه القوة اللانهائية.

عـبـد الـصـمـد : انظر إلى هذا المفتاح الصغير الملصق بعنقه، إذا دعك خرج العفريت وأصبح طوع أمرنا.

موسى بن نصير : هل نقدم على التجربة؟

عبد الصمد : لا أنصح بذلك، ولكننا نحاول الاتصال به.

موسى بن نصير : على الأقل ليتوكد لنا وجوده.

عبد الصمد : (**يقرب إلى فمه عنق القمقم**) أيها السجين، تكلم بحق الله المتعال.

صوت الجن : أخيرا وبعد عشرين ألف سنة من عذاب السجن.

عبد الصمد : من قضى عليك به؟

(صمت)

صوت الجن : ارتكبت معصية رآها ماسة بشرفه.

طالب بن سهل : ستحمل إلى أحكم الناس طرا مولانا الخليفة.

صوت الجن : كفانى عذابا، أخرجنى من القمقم أحقق لك ما تشاء نظير وعد بإطلاق سراحى.

طالب بن سهل : سيقضى الخليفة فى أمرك بما هو قاض.

صوت الجن : أصغوا إلى، إذا أخرجتمونى وجدتم فى خدمتكم قوة لا يقف أمامها بشر، بوسعى أن أجعل الخليفة نفسه عبدا لكم، لا تضيعوا فرصة لا تعوض لإنسان مرتين.

موسى بن نصير : عليك اللعنة، ما زلت عاكفا على الشر.

صوت الجن : ألا تحبون أن تسودوا الدنيا ومن فيها؟

موسى بن نصير : ملكك اللعين أخرج أبانا من الجنة فهيهات أن تخرجنا من الدين.

عبد الصمد : ألك علم سابق بمدينة النحاس؟

صوت الجن : كيف لا وأنا الذى قضيت عليها بالموت المسحور!

موسى بن نصير : إذن هى مدينة ميتة؟

صوت الجن : تلقت ميتتها المسحورة منذ حوالى عشرين ألف سنة.

طالب بن سهل : عشرون ألف سنة؟! . . كأنما ماتت لساعتها، ولكن لم قضيت عليها بما قضيت؟

صوت الجن : وقع قمقمي بين يدى الملكة ضمن صيد لها أصابه صياد القصر، ولمست يدها مفتاح القمقم وهى تقلبه فخرجت لها، وسرعان ما أدركت مدى القوة التى أذعنت لها، ثم وعدتنى بإطلاق سراحى إذا حققت لها ما تشاء، وإذا بها تتمادى فى غيها حتى الكفر! ولما كنت عفريتا مؤمنا بالله على رغم معصيتى فقد غضبت وأنزلت بها الميتة المسحورة التى تبقيها على حالها لا تتغير عبرة للمعتبرين، نابذا وعدها لى بالتحرر، هكذا ماتت المدينة ورجعت على رغم إرادتى إلى البحيرة.

عبد الصمد : سوف نخبر مولانا الخليفة بتضحيتك فى سبيل الله، وستكون خير تمهيد للإفراج عنك.

صوت الجن : طال انتظارى للعفو والرحمة.

طالب بن سهل : لكن من يثبت لنا صدقك؟

صوت الجن : بوسعى أن أجعل المدينة شاهدا على صدقى.

طالب بن سهل : كيف؟

صوت الجن : بوسعى أن ألغى سحر الموت عنها نهارا فتشهد بعينك ساعاتها الأخيرة.

موسى بن نصير : ألا يصيبنا سوء إذا عثروا علينا؟

صوت الجن : كانت مدينة عظيمة تموج بألوان البشر من الوافدين.

موسى بن نصير : وكيف نفهم لغتها أو تفهم لغتنا؟

صوت الجن : هذا علىّ هين.

طالب بن سهل : (بحماس) لابد من خوض هذه التجربة المثيرة، افعل أيها العفريت .

صوت الجن : إليكم آخر نهار من حياة المدينة، من طلوع الشمس حتى مغيبها .

(يهبط الظلام)

٥

(إضاءة)

(موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد، يقفون ناحية من الميدان غير بعيد من مدخل المدينة. يتابعون ما يحدث هنا وهناك وقد يعلقون عليه. ومنظر النهار يبدأ والميدان خال إلا من شرطي يتقلد سيفه ويتفقد الحوانيت. يمر عابر ثم آخر. يقبل التجار فيفتحون حوانيتهم ثم يقبل الزبائن نساء ورجالا وشبانا وتدب الحياة وتتصاعد).

موسى بن نصير : (ذاهلا) أيها الأموات .

طالب بن سهل : (متأملا) كما كنتم وكما نحن تكونون .

عبد الصمد : أموات لا يخطر لهم الموت ببال .

(من حانوت قريب تترامى أصوات. فتاة تقلب بين يديها أقمشة، وشاب أيضا يفعل مثلها).

التاجر : (للفتاة) إنه فاخر ومناسب وسيكون عليك فتنة للناظرين .

الفتاة : سأشهد به حفل زفاف فى الشهر القادم، أرنى أجمل ما عندك.

التاجر : إليك هذا الثوب وهو بخمسمائة.

الفتاة : الأسعار ترتفع بجنون.

الشاب : لكى تغطى أرباح الجشعين من التجار والحاشية!

التاجر : (للشاب) من أجل طول ألسنتكم ضاقت عنكم السجون!

الشاب : لن يبقى خارج الأسوار إلا العبيد.

صوت الجن : (للرجال الثلاثة) لم يحظ بالسيادة فى المدينة سوى الملكة والحاشية ورجال الأمن والتجار، وقد استعبدوا الشعب واستغلوه، ولما سقط القمقم بين يدى الملكة قررت أن تستعبد جميع قبائل الأرض.

موسى بن نصير : الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام فأنقذ كرامة البشر.

* * *

(يقبل شاب فتعترض سبيله فتاة جميلة ثم تتبعه مغازلة إياه وهو يتمنّع ويتدلل).

الفتاة : كيف تسير وحدك يا جميل؟

الشاب : هذا وقت عمل، أليس لديك ما يشغلك؟

الفتاة : ما يشغلنى شىء عنك، تعال إلى نزهة وكأس عند البحيرة.

الشاب : (مسرعا) إن لم تنصرفى ناديت الشرطة!

عبد الصمد : (للقمقم الذى أخفاه فى عباءته) ما معنى هذا؟

صوت الجن : كان للنساء المقام الأول فى المدينة وبخاصة فى عهد الملكة ترمزين، وكانت الفتاة هى التى تخطب

عريسها، وهى التى تغازل الفتى، وهى التى تتمتع بحريتها الجنسية بخلاف الشاب.

طالب بن سهل : **(ضاحكا)** إذن لم تخل المدينة من طرائف مفيدة!

موسى بن نصير : **(باسما)** انتظر خيراً أيها الأمير فأنت الذى تمثل الشباب بيننا!

* * *

(تقترب متسولة من الرجال الثلاثة فى جلبابها الرث).

المتسولة : **(للرجال الثلاثة)** أعطونى مما أعطاكم الإله، أريد مأوى ورجلا وعبدا ومورد رزق ثابت.

طالب بن سهل : فليرزقك الذى خلقك.

المتسولة : **(غاضبة)** عليكم اللعنة.

* * *

(يقبل رجل مريض يتوكأ على ذراع زوجته).

المريض : **(للرجال الثلاثة)** أين الطريق إلى المستشفى؟

موسى بن نصير : نحن غرباء لم نعرف مدينتكم بعد، شفاك الإله.

المريض : غرباء؟! إنكم أصل المصائب، تجيئون إلينا من أطراف الأرض حاملين أمراضكم معكم، فتسرقون نقودنا وتعطوننا أمراضكم.

(يبصق ثم يذهب).

* * *

(يقدم موكب رجل غنى. عبيد يحملون هودجه، وعبيد يتقدمون موكبه وهم يوسعون له طريقا بين الناس بالعنف).

شابة : **(لزميل يتأبط ذراعها)** هذا سلوكهم، ماذا يفعلون غدا وقد سخروا العفريت لخدمتهم؟

صــــوت الجن : (للرجال الثلاثة) أعترف لكم بأن هذا القول وأشباهه أثرت فى، إذ إننى كنت أنتمى إلى شعب العفاريت المضطهدين.

* * *

(رجل عجوز يقف ناحية من الميدان).

العجـوز الضرير : من يسمع كلمة تنفعه؟.. من يسمع كلمة تنفعه؟

(يقبل عليه نساء ورجال ذوو مظهر حسن وهم يتغامزون).

امـــــــــرأة : (للعجوز) ماذا عندك مما ينفع الناس؟

العجـوز الضرير : إنى أعمى...

امـــــــــرأة : (مقاطعة) هذا واضح.

العجـوز الضرير : ولكنى أرى خيرا منكم.

(ضحك).

العجـوز الضرير : أرى أشياء جميلة غير الشراء والربح والفسق والسكر وامتلاك العبيد.

كـهل وجيـه : يا لك من أعمى.

العجـوز الضرير : وأرى الموت أقرب إليكم من أجسادكم.

أصـــــوات : عليك اللعنة.

(يقترب الشرطى فيضع يده على منكب الضرير).

العجـوز الضرير : من أنت؟

الـشــــرطى : شرطى، ماذا تقول؟

العجـوز الضرير : (فى خوف) أقول لهم إن خدمة الملكة ترمزين أهم من الربح وامتلاك العبيد.

الـشــــرطى : (بخشونة) اذهب لحال سبيلك، مولاتنا الملكة ليست فى حاجة إلى أحد.

* * *

(يخرج حاجب من باب مكتوب أعلاه «العدل أساس الملك»).

الحاجب : محكمة!

(يتوجه كثيرون نحو المحكمة ويقفون على مبعدة).

(يخرج شرطي سائقًا أمامه رجلا معصوب العينين يئن بصوت مسموع فيدفعه بعيداً عنه ثم يخاطب الجمهور).

الشرطي : ادعى هذا الرجل أنه توجد نجوم لا ترى بالعين فحكم عليه بفقء عينيه.

(يدخل الشرطي ثم يجيء بشاب يسير مفرجا الجمهور).

هذا الشاب طالب بمساواة الرجال بالنساء فقضى عليه بالإخصاء.. **(ضحك)**.

(يدخل الشرطي ثم يرجع بنعش محمول. ثم يخاطب الجمهور).

هذه جثة مجرم، احتج جهرا على تسخير جلالة الملكة للعفريت.

(ثم يرجع وهو يقول) وفى الغد البقية، فإلى الغد.

عبد الصمد : (للقمقم) أهلكت المدينة كلها؟

صوت الجن : نعم.

عبد الصمد : وما ذنب هذا الشعب التعيس؟

صوت الجن : قررت إهلاك الظالمين بظلمهم والآخرين بنفاقهم وجبنهم.

عبد الصمد : ألم توجد بينهم مقاومة؟

صوت الجن : بلى، منهم من قتل، ومنهم من هاجر فنجا.

* * *

(صوت طبل يجىء من ناحية القصر الملكى. الأنظار تتجه نحو القصر. يخرج الحاجب الأكبر محوطا بحرس ثم يمضى حتى يقف فى وسط الميدان. يلتف الجمهور حوله. حتى التجار يغادرون حوانيتهم. يقترب من الجمع موسى بن نصير وطالب بن سهل وعبد الصمد).

(صمت)

الحاجب الأكبر : إعلان مهم من حضرة صاحبة الجلالة الملكة ترمزين إلى شعبها الوفى الأمين.

(صمت)

بناء على ما تيسر لنا من قوة لا نهائية بفضل تسخيرنا لقوة الجن فى خدمة شعبنا وتحقيق السيادة له على الأرض.

وبناء على نيتنا الصادقة فى ممارسة هذه القوة بالحكمة والعدل ومراعاة سعادة شعبنا بصفة خاصة وشعوب الأرض بصفة عامة، فقد تفضل الإله المعبود فأضفى رضاه عنا، وأصدر قراره بالنزول لنا عن عرشه فوق الأرض.

وإطاعة لقراره المقدس يتعين علينا أن نصبح المعبود الأوحد فى الأرض، وحق على شعبنا أن يعبدنا وأن يقدم لنا القرابين فى الأعياد الدينية.

وبهذه المناسبة المقدسة فإنى أدعو شعبى لشهود حفل التتويج الإلهى فى هذا الميدان عند غروب الشمس.

(صمت)

الحاجب الأكبر : **(يهتف)** لتحيا الإلهة ترمزين.

أصوات الحراس وبعض المتجمهرين : لتحيا الإلهة ترمزين .

(الحاجب الأكبر والحراس يرجعون إلى القصر).

موسى بن نصير : أعوذ بالله الواحد الأحد .

عبد الصمد : قتل الإنسان ما أكفره .

طالب بن سهل : كيف اختبأ الفجر البشع وراء ذلك الوجه الجميل؟!

* * *

وجيه : (لزميل له) كان الإله يتخذ من الأصنام رموزاً له وها هو ذا أخيراً يتخذ رمزاً حيا جميلا .

الزميل : فلتحل بنا البركات .

* * *

تاجر : (لزميل له) من يصدق أننى حلمت بهذه المعجزة ليلة أمس؟

الزميل : إنك رجل ذو قلب نقى .

* * *

(يتجمع نفر من الشباب نساء ورجالا على مبعدة يسيرة من الرجال الثلاثة).

شاب : متى وكيف قرر الإله ألا يعبد فى الأرض؟

شاب ثان : ماذا يحدث لنا بعد موت المعبودة الجديدة؟

شابة : فى الحق نحن مدعوون لعبادة العفريت المسخر .

موسى بن نصير : (غير متمالك نفسه من الدخول فى حوارهم) أيها الناس إنه كفر وإنه لا إله إلا الله .

الشاب الأول : (لموسى) ماذا قلت أيها الغريب؟

موسى بن نصير : (محتذا) قلت إنه كفر ولا يجوز أن يضلكم عن إيمانكم .

الشـاب الـثـانى : (لموسى) صـه . . لا يخلو المكان من آذان وعـيـون . .
هلم إلى الحقول لنستمع إليك فى أمان .

طالب بن سـهل : (يمسك بذراع مـوسى بن نصـير ويقـول) إياك أن تذهب
معهم أيها الأمير .

موسى بن نصير : السكوت على الكفر كفر .

طالب بن سـهل : لقد مضى على الحوار عشرون ألف سنة .

موسى بن نصير : (يذهب قائلا) سأغير الماضى كما أغير المستقبل .

(يذهبون).

طالب بن سـهل : لقد زج بنفسه فى متاعب ماض انقضى منذ عشرين
ألف سنة .

عـبـد الـصـمـد : نحن ملتحمون به الآن ولا ندرى كيف يتعامل معنا .

طالب بن سـهل : كأننى فى حلم .

عـبـد الـصـمـد : إنه حلم فى باطن حلم!

* * *

(صوت موسيقى من ناحية القصر).

(يخرج موسيقى ومنشد يتبعهما عبيد يحملون دنان الخمر).

(يملئون الكئوس.. يقدمونها للناس).

خـــــــادم : نخب المعبودة .

خــــادم ثـان : اشرب واطرب وتمتع بحياتك .

خـــادم ثـالث : الدنيا قبلة وكأس .

(أناس يقبلون على الشراب ويشيع الطرب).

* * *

(يذهب السقاة وهم يوزعون الخمر. تترامى أصوات موسيقى
شعبية، يظهر فـريق جديد من طريق جانبى يدل مظهره على

أنه يمثل «سيرك» ويعلن عنه. يتقدمه مناد يتبعه بلياتشو ورجال أقوياء مصارعون وحاملو أثقال).

المنادى : بشرى . . بشرى . . **(الناس يلتفتون نحو المنادى) .**
السيرك الكبير يشارك فى أفراح الشعب لمناسبة تتويج معبوده الجديد بعرض خاص هذه الليلة ، برنامج حافل لم يسبق له مثيل ، إليكم بعض النمر المختارة :
مصارعة حرة بين أسد جائع وبين رجل من أهل مدينتنا ثبتت خيانته فى مطالبته بتحرير العبيد . عرض نماذج من مجانين ممتازين نساء ورجالا سبق أن تولوا مناصب مهمة فى الدولة .
حرق رجل وهو حى لاعتراضه على عبادة الملكة ترمزين .
رجل وامرأة يعرضان قواهما الجنسية العجيبة .
ساحر السيرك يتنبأ لأى زبون عن مستقبله .
نشيد جديد عن الأبطال الذين بنوا مدينتنا سيدة الدنيا .
(الناس تتابع الإعلان، وعند نهاية كل مقطع يتصاعد الهتاف).

طالب بن سهل : (ساخرا) وأسفاه . . لن يسعدنا الحظ بمشاهدة هذا العرض الحافل .

عبد الصمد : (باسما) من يدرى؟ ، قد ينجح الأمير موسى فى تغيير الماضى!

* * *

(ضجة تجيء من طريق جانبى. تتقدم الجماعة المتمردة على رأسها موسى بن نصير وقد أحاط بهم جنود شاكو السلاح يسوقونهم نحو القصر).

طالب بن سهل : (بجزع) اكتشفت السلطة أمرهم، ما العمل؟ أخاف أن يصيب أميرنا سوء؟

عبد الصمد : (محاولا تهدئته) هل تستطيع يد هالكة منذ عشرين ألف سنة أن تؤذى إنسانا من زماننا؟!

طالب بن سهل : محتمل أن يؤثر سحر قديم فى أحدنا، أليس كذلك؟

عبد الصمد : (للقمقم) أثمة خوف حقا على صاحبنا؟

صوت الجن : إنى لا أعلم الغيب.

عبد الصمد : لكنهم أموات يعيدون تمثيل أحداث وقعت وبلا زيادة.

صوت الجن : أضاف صاحبكم بتدخله حدثا جديداً.

طالب بن سهل : أرجعهم إلى ما كانوا عليه قبل أن يمتد يد بسوء إلى الأمير.

صوت الجن : هذا ما أعجز عنه وهيهات أن يتكرر قرارى قبل اللحظة التى وقع فيها.

طالب بن سهل : يا للفظاعة، لن أتردد عن التدخل لدى أول فرصة.

صوت الجن : إنها حياتك فافعل ما تشاء.

طالب بن سهل : (لعبد الصمد) لعلك تعرف قراءة الطالع؟

(تسمع السؤال امرأة مارة فتقف ثم تقترب من عبد الصمد).

المرأة : أود أن تقرأ لى طالعى.

(سرعان ما يتجمهر أناس حوله مستطلعين).

عبد الصمد : لست عرافا.

المرأة : سمعتك تقرأ لصاحبك طالعه.

عبد الصمد : ما سمعت من ذلك شيئا.

رجـــــــل : بل سمعتك . . لماذا تضن علينا بقدرتك؟

(المتجمعون يلحون فى غضب).

طالب بن سهل : اقبل، قل ما يحلو لك، وأنقذنا من غضبهم.

عبد الصمد : عظيم . . عم تسألون؟

المـــرأة : الذى فى بطنى أنثى أم ذكر؟

عبد الصمد : ذكر . . أبشرى . .

المـــرأة : (بفزع) أتسخر منى أيها الدجال؟!

عبد الصمد : (هامسا لطالب بن سهل) نسيت ورب الكعبة.

شـــاب : (لعبد الصمد) ألا سبيل إلى مقاومة العفريت؟

عبد الصمد : لا تنس أنه يعمل فى خدمة إنسان!

الشـــاب : (بحماس) بلى: سيظل الإنسان هو الأقوى.

كـــهل : ما علاج الخوف من الموت؟

عبد الصمد : الموت نفسه.

(غضب من الكهل وضحك من الجمهور).

فـــتـــاة : متى يزول الظلم؟

عبد الصمد : بعد ساعات.

الفـــتـــاة : ماذا تعنى؟

عبد الصمد : ليس عندى زيادة.

رجـــــل : قضيتى هل أكسبها؟

عبد الصمد : لن يكسبها خصمك!

الـــرجـــل : إنى أسأل عما يخصنى.

عبد الصمد : ليس عندى زيادة.

امـــرأة هزيلة : متى أشفى من مرضى؟

عبد الصمد : قبل حلول المساء.

المــــــــرأة : ما أحلى كلامك لو يتحقق .

(يمر الشرطى فيفترق الناس).

طالب بن سـهل : كاد يغلبنى الضحك .

عـبـد الـصـمـد : ما أعجب أن تحاور أمواتا!

طالب بن سـهل : من موقعنا هذا ينكشف لنا الغيب طيلة هذه التجربة الفريدة .

عـبـد الـصـمـد : حتى ذلك لا نستطيع أن نجزم به .

طالب بن سـهل : نحن أحياء وهم أموات .

عـبـد الـصـمـد : حسن أن تقول ذلك لنطمئن على أميرنا لكن لا تنس أنهم الآن أحياء وأننا لم نولد بعد .

طالب بن سـهل : أود أن أفعل شيئًا لإنقاذ موسى .

* * *

(من القـصر يخـرج رئيس الشـرطة يتبـعه حـراس. تنصب منصة فى الميدان).

حــــــاجـب : الشرطة تحاكم المتمردين تمهيداً لإحالتهم إلى المحكمة .

(الجمهور يهرع للمشاهدة).

(رئيس الشرطة يجلس عـلى المنصة. يقدم أمـامه مجمـوعة المتمردين وعلى رأسهم موسى بن نصير).

طالب بن سـهل : ها هو ذا الأمير ، لن يمسه أحد بسوء وأنا حى .

عـبـد الـصـمـد : تمهل . . ولنتابع الماضى وهو يحاكم المستقبل .

رئيس الشــرطة : (للمتمردين) إنكم شباب أرعن ، لا إله لكم ، وجهركم بالشر يغنى عن مساءلتكم ، ستمثلون غداً صباحًا أمام القاضى فى المحكمة .

(رئيس الشرطة يلتفت نحو موسى بن نصير ويقول)

رئيس الشـــرطة : ماذا أوجدك بين هؤلاء الشبان وأنت كهل، ما كنت أتصور أن الكهول قابلون للعدوى بأمراض الشباب. ما اسمك؟

موسى بن نصير : موسى بن نصير.

رئيس الشـــرطة : أى اسم هذا؟

موسى بن نصير : هذا اسمى وأدعى به فى الشرق والغرب.

رئيس الشـــرطة : إنك تستحق بسببه السجن، أأنت غريب؟

موسى بن نصير : نعم.

رئيس الشـــرطة : من أى البلاد؟

موسى بن نصير : من بلاد المغرب.

رئيس الشـــرطة : لا علم لى بها. أنت كاذب، جاسوس وكاذب، ما عملك؟

موسى بن نصير : أمير المغرب.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون.

موسى بن نصير : إنى أعرف أكثر منك بعشرين ألف سنة.

رئيس الشـــرطة : لن ينفعك ادعاء الجنون، إنك متهم بترويج أفكار مستوردة لإفساد شبابنا.

موسى بن نصير : ما قلت لهم إلا الحق وهو أنه لا إله إلا الله.

رئيس الشـــرطة : ها أنت ذا تعترف بكفرك على الملأ فما أنت إلا جاسوس يروج للكفر.

موسى بن نصير : سوف يحل بكم العقاب بعد ساعات ولا خلاص لكم إلا باتباع قولى.

رئيس الشـــرطة : سنرى من الذى سيحل به العقاب، سأفصل رأسك عن جسدك بيدى هذه صباح الغد. **(للجنود)** أعيدوهم إلى السجن.

(الجنود يسوقون المتهمين إلى القصر).

* * *

(يجيء رجلان وقوران، يقفان على مقربة من طالب بن سهل وعبد الصمد دون أن يفطنا إلى وجودهما).

الأول : سيدى الأستاذ نحن فى ورطة.

الثانى : لكل مشكلة مفتاح.

الأول : قضينا العمر ونحن ندرس لأجيال من طلاب العلم فلسفة تبجل الإله وقدرته، وتحلل الإنسان وفناءه، فكيف يكون موقفنا اليوم أيها الزميل؟

الثانى : نقول فى ترمزين ما قلناه فى الإله.

الأول : وكيف تفسر تناقضنا بين اليوم والأمس؟

الثانى : رأى الإله بقدرته اللانهائية أن يرفع الملكة إلى مرتبة الألوهية.

الأول : ولماذا ينزل الإله عن سلطانه لبشر فان؟

الثانى : لم تعد فانية.

الأول : وإن أدركها الموت؟

الثانى : أعتقد أننا سنسبقها إليه.

الأول : ومحتمل أن تسبقنا هى.

الثانى : نقول إن حكمة الإله لا تناقش.

الأول : وإذا تمادوا فى المناقشة؟

الثانى : نستعين بالشرطة فهى البرهان الأخير لمن لا يقتنع.

الأول : (ضاحكا) الآن شرحت صدرى، والآن نستطيع أن نعد الخطبة التى سنلقيها عند الغروب.. (يذهبان).

طالب بن سهل : (متعجبا) حتى أهل العلم؟!

عبد الصمد : يؤسفنى أيها الأمير أن أذكرك بأن دار الإسلام لا تخلو من أمثالهم.

طالب بن سهل : (دهشا) أأنت من شيعة على بن أبى طالب؟

عبد الصمد : إنى من شيعة الحق ورزقى على الواحد الأحد.

* * *

(يقترب نفر من الشرطة من موقف طالب بن سهل وعبد الصمد).

الشرطى : (لعبد الصمد) أنت العراف؟

عبد الصمد : ما أنا بعراف.

الشرطى : ترامى خبرك إلى جلالة الملكة فقررت أن تسمعك. أبشر بحظك السعيد واتبعنى.

(يتردد عبد الصمد ولكن الجنود تدفعه صوب القصر).

طالب بن سهل : لم يبق سواى، أصبحت وحيداً فى هذه المدينة الميتة، ترى بأى حال تنتهى هذه المغامرة؟

* * *

(ما يكاد يتم قوله حتى تقترب منه امرأة كهلة حسنة المنظر).

المرأة : أبشر أيها الشاب السعيد

طالب بن سهل : ماذا وراءك يا سيدة؟

المرأة : اتبعنى إلى حظك السعيد.

طالب بن سهل : أى حظ سعيد؟

المرأة : لقد رأتك الملكة ترمزين من نافذة قصرها!

طالب بن سهل : (بذهول) الملكة ترمزين؟!

المرأة : وهى تدعوك إلى حظك السعيد، اتبعنى.

(تسير المرأة فيتبعها طالب بن سهل منفعلا بصورة واضحة).

(يهبط الظلام)

٦

(إضاءة)

(بهو العرش. الملكة ترمزين جالسة فوق العرش حجاب. حراس).

(تدخل المرأة).

المـــــرأة : (تنحنى) مولاتى، إنه ينتظر.

الملــكـة : أذنت له.

(الملكة تشير إلى الحجاب والحراس فينسحبون).

(يدخل طالب بن سهل. ينحنى تحية).

(الملكة تبتسم. تشير إلى مقعد قريب فيجلس عليه. تمعن فيه النظر بإعجاب لا تحاول إخفاءه. طالب يبادلها النظر بتأثر).

ترمـزين : العين أصدق رسول وأخلص دليل.

طالب بن سهل : هى كذلك يا مولاتى.

ترمـزين : حدثنى عن نفسك.

طالب بن سهل : اسمى طالب بن سهل.

ترمـزين : غريب مثل صاحبيك؟

طالب بن سهل : ومن بلاد بعيدة.

ترمـزين : ما كنت أتصور أنه يوجد غريب بصورتك وقوامك.

طالب بن سهل : الغرباء مثل رعاياك يسعون ويحبون ويموتون.

ترمـزين : لا تجدف إنك استثناء، ما عملك؟

طالب بن سهل : تاجر.

ترمزين : تاجر وعراف وجاسوس.. ماذا جمعكم؟

طالب بن سهل : لقد تورط صاحبنا دون قصد سيئ.

ترمزين : لا تدافع عن مجرم، ولكن لندع هذا الحديث جانبا، قلت إنك تاجر. التاجر شخص ممتاز ومفيد، ولكن موضعك الحقيقي بين الحجاب أو الحراس.

طالب بن سهل : ما أنبل نواياك يا مولاتي!

ترمزين : نحن النساء ننتظر قدرنا منذ البلوغ، وصدقني فإنك أول رجل في حياتي.

طالب بن سهل : من السعادة يا مولاتي ما يعز على الأحلام.

ترمزين : (باسمة) فيك جرأة محببة، ما من شاب في موقفك إلا ويبدي الخجل والتمنع، أما أنت فتجاهر بسعادتك بلا تردد، أصارحك بأنه يعجبني الشاب المتحلي بأحوال النساء!

طالب بن سهل : (مداريا ابتسامة) أخرجني الانبهار من الحياء.

ترمزين : بالصدق والصراحة هل تبادلني عواطفي؟

طالب بن سهل : أجل.. أجل يا مولاتي، ومنذ قديم.

ترمزين : حقا؟.. لعلك رأيتني في احتفال البحيرة؟

طالب بن سهل : رأيت جمالك في خلوده.

ترمزين : رأيتك من نافذتي، من نظرة عابرة، دلتني على أغنيتي المفضلة.

طالب بن سهل : ليهنأ كل محب بحبه إكراما لحبنا.

ترمزين : ولكن تجيء المتاعب في أعقاب الحب!

طالب بن سهل : المتاعب؟

ترمـــــــزين : اختيار غريب لرئاسة الحرس قرار مثير للاستياء. (صمت) وزواجى من بشر عقب جلوسى على عرش الآلهة مستحيل، ولكنك ستكون أقرب إلى من أنفاسى المترددة.

طالب بن سهل : (بنبرة غلبها الحزن) ستصفو لنا الأيام.

ترمـــــــزين : وجـــهك ينطق بالأسى على حين يلهج لســانك بالسعادة.

طالب بن سهل : إنى أتساءل هل يسعد إنسان حقا بحب إلهة؟

ترمـــــــزين : بين يديك سأظل امرأة!

طالب بن سهل : قلبى يتوجس خيفة.

ترمـــــــزين : يا له من قلب ساذج.

طالب بن سهل : لم يحدث ذلك لبشر من قبل.

ترمـــــــزين : كأنما يداخلك شك فى قدرتى؟

طالب بن سهل : إنى بشر وأتمنى ألا تتخلى حبيبتى عن بشريتها.

ترمـــــــزين : لدى من القوة ما أستطيع أن أطيِّر به مدينة فى الفضاء.

طالب بن سهل : قوة عفريت مذنب؟!

ترمـــــــزين : القوة هى القوة بصرف النظر عن مصدرها، ماذا يملك الإله أكثر من ذلك؟

طالب بن سهل : يملك القوة ومصدرها والمسيطر عليها.

ترمـــــــزين : إنك تذكرنى بأقوال الخونة!

طالب بن سهل : ما أنا إلا محب يحب حبه ويحرص عليه.

ترمـــــــزين : ستجد ألا أصل لمخاوفك وأوهامك.

طالب بن سهل : أتوسل إليك أن ترجـعى عن قـرارك قـبل فـوات الفرصة.

ترمـــــــزيـن : أرجع؟

طالب بن سـهل : أتوسل إليك، من أجل حبنا، من أجل سعادتنا.

ترمـــــــزيـن : سنكون أقدر على الاستمتاع بها من جميع البشر.

طالب بن سـهل : إنها تجربة تنذر بالهلاك.

ترمـــــــزيـن : الهلاك؟!.. ماذا قلت؟

طالب بن سـهل : ارحمى قلبى وحبى.

ترمـــــــزيـن : ما أعجب الحب، لو نطق غيرك بما نطقت به لفصلت رأسه عن جسده.

طالب بن سـهل : ابقى امرأة لا إلهة.

ترمـــــــزيـن : ستجدنى امرأة وقتما تشاء.

طالب بن سـهل : **(بحرارة)** أصغى إلى باسم الحب، صدقى قلبا يهيم بحبك، فالحب يلهمه الصواب. أقول إن الهلاك معلق فوق رأسك فتجنبيه، خذى الحب ودعى الموت، استجيبى لى لعل معجزة تقع.

ترمـــــــزيـن : **(ضاحكة)** أيها الرعديد المحبوب، ستشهد التتويج بنفسك، ثم نرجع لنصنع من حبنا الأعاجيب.

طالب بن سـهل : **(بأسى)** لن نذوق من الحب قطرة واحدة.

ترمـــــــزيـن : **(بحدة)** إنك تتحدث عن الموت كأنه حقيقة واقعة.

طالب بن سـهل : لقد رأيته بعينى!

ترمـــــــزيـن : **(ساخرة)** أأنت عراف أم تاجر؟

طالب بن سـهل : أنا محب والمحب يرى ما لا يراه الآخرون.

ترمـــــــزيـن : كفى، لن ننتهى إلى اتفاق، تعلق بمخاوفك حتى تنقشع فى ليلتنا السعيدة، حسبنا ما ضاع فى نقاش عقيم، إنى أنتظر صاحبك العراف الذى أجلت لقاءه لهفتى عليك، لنسمع صوت الغيب الصادق.

(تصفق. يدخل حاجب).

ترمـــــــزين : إلىّ بالعراف . (الحاجب يذهب. عبد الصمد يدخل. يرفع يديه تحية. يلمح طالب بن سهل ولكنه يتجاهله. يجلس عندما تشير إليه الملكة بالجلوس) (لعبد الصمد) أبلغتنى عيونى المنتشرة فى كل مكان عن قدرتك .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمـــــــزين : لدى أسئلة عن الغيب قبل أن يسفر لى عن وجهه عند المغيب .

عبد الصمد : ما أنا إلا عبد .

ترمـــــــزين : تواضع محمود، أجبنى يا رجل : هل يوجد متمردون آخرون غير الذين قبض عليهم اليوم؟

عبد الصمد : التمرد كامن فى القلوب، جهر به البعض فقبض عليهم، وأخفاه الآخرون وراء أقنعتهم الكاذبة .

ترمـــــــزين : (بحدة) ماذا قلت؟

عبد الصمد : أقول ما يخطر لى وإن شئت سكت .

ترمـــــــزين : ألا يؤمن بى أحد؟

عبد الصمد : حتى الشيطان فى قمقمه يعبد الإله .

ترمـــــــزين : خيبت ظنى بك .

عبد الصمد : حذار من قرارك، سينفجر لعنة مدمرة على الأرض .

ترمـــــــزين : وما مصير ترمزين؟

عبد الصمد : مصيرك بيدك .

ترمـــــــزين : إنى أحب الحياة .

عبد الصمد : ما عليك إلا أن تحبيها بصدق .

ترمـــــــزين : أحبها وأحب الحب .

عبد الصمد : إذن تراجعى عن الموت .

ترمزين : إنى أدرك ما ترمى إليه .

عبد الصمد : ستهلكين عند مغيب الشمس .

ترمزين : أعلم يقينا أنك كاذب ، أتدرى ماذا يصيبك إذا نجوت؟

عبد الصمد : إذا نجوت من الموت فأرسلينى إليه .

(طالب بن سهل يرفع يده مستأذنا فى الكلام).

ترمزين : تكلم يا طالب .

طالب بن سهل : مولاتى ، هذا الرجل يتكلم بثقة ، وقد راهن على صدقه بحياته .

ترمزين : إنى أملك قوة لا تقاوم .

عبد الصمد : عفريتك عبد للإله ، سيغضب لإلهه فيتخلى عنك ولو فقد آخر أمل فى تحرره .

طالب بن سهل : سوف يدمرك فوق عرش الألوهية .

ترمزين : (غاضبة) الآن وضح الحق ، ما أنت يا طالب إلا نسيج فى مؤامرة ، مثل هذا العراف الكاذب ، ومثل صاحبكم الذى قبض عليه وهو يؤلب شعبى علىّ . **(ترمزين تصفق. يدخل حاجب)** أحضروا الجاسوس . **(للرجلين)** إنكم تخافون القوة المسخرة أن تذل شعوبكم ، ولكنى سأعتلى بها عرش الألوهية وأسود الأرض ، الحب نفسه يا طالب لن يغرينى بخيانة مدينتى المقدسة . .

(يحضر موسى بن نصير ويسمع آخر خطابها ثم يقف) **(تلتفت إلى موسى بن نصير غاضبة)** ها هو ذا الجاسوس الذى سيفنصل رأسه عن جسده غداً **(ثم ملتفتة إلى طالب بن سهل)** أما أنت فإنك شر الثلاثة لقد اتخذ

أحدهما من الجاسوسية وسيلة إلى هدفه، ومارس الثانى الدجل، أما أنت فأهنت الحب المقدس، أنزلته من علياء سمائه وجعلته خدعة دنيئة.

طالب بن سهل : (بحرارة وأسى) : أقسم بربى أننى أحبك من كل قلبى، وأننى أتحدى الماضى والواقع لأنقذك من العدم.

ترمزين : هيهات أن أصدقك.

موسى بن نصير : (منفعلا) الوقت يقترب بسرعة مخيفة، وإذا أردنا أن نخوض التجربة المتاحة النادرة وهى تغيير الماضى فما علينا إلا أن نكاشفها بالحقيقة (صمت).

(للملكة) أيتها الملكة . . إنك فى الحقيقة ميتة قد شبع منك العدم.

ترمزين : (تضحك ساخرة) أيها الضال المضلل، بلغنى أنك تدعى الجنون، ولكنك ستنال جزاءك غداة الغد، أنت أنت الميت لا ترمزين.

موسى بن نصير : إنك ميتة منذ عشرين ألف سنة!

ترمزين : (مغرقة فى الضحك) خوفكم من قوتى أذهب عقولكم، فلتذهب إلى الجحيم ولتبق ترمزين ومدينتها إلى الأبد.

عبد الصمد : ما أشق أن تقنع حيا بأنه ميت.

طالب بن سهل : مولاتى، أعيرينا أذنك لتسمعى قصة مدينتك.

ترمزين : أيها المخادع الكذاب هل تشاركهما جنونهما؟ هل ترانى ميتة أيضًا؟

طالب بن سهل : لقد اكتشفنا المدينة وما بها إلا جثث أهلها : ولما استخرجنا العفريت من البحيرة اعترف لنا بأنه هو

الذى أنزل بها الموت المسحور جزاء كفرها، ولكى يثبت لنا صدقه أوقف سحره نهاراً واحداً هو هذا النهار الذى يقترب من نهايته، هكذا دبت فيكم حياة كالحلم لا تلبث أن تنقشع، وسوف يدرككم الفناء كما أدرككم أول مرة.

ترمزين : يا للدجل والكذب والخداع!

عبد الصمد : اعدلى عن قرارك توهب لك الحياة من جديد.

طالب بن سهل : هى الحقيقة يا مولاتى، صدقينا قبل فوات الفرصة النادرة.

ترمزين : أيها الجواسيس الحقراء الحاقدون على عظمة مدينتى الموعودة!

موسى بن نصير : عن أى عظمة تتحدثين؟ ما هى إلا عظمة ذاتك ورجالك، إنك تذلين شعبك كما تذلين الغرباء، حتى أصحاب العقول والإلهام جعلت منهم عبيدا ودمى. انظرى، ها هو ذا المستقبل يتجسد أمام عينيك ويعدك بمعجزة فاستجيبى له، فمن لم يفقه لغة المستقبل دمره الحاضر.

ترمزين : (تخرج القمقم من تحت وسادة) أيها العفريت. اقذف بالحقيقة فى وجوه هؤلاء الجواسيس. (صمت) (مقطبة) أيها العفريت!

(صمت) (ثائرة) فهمت.. ما أنتم إلا سحرة، تسلطتم على لسان العفريت، ولكنى ما زلت مالكته، وسوف يتحرر من سحركم حال قتلكم.

طالب بن سهل : حبيبتى لا تهدرى فرصة لا يجود بها الزمان أبدا،

أمامنا فرصة للحب والخلق معجزة يفيد منها عالمنا الحى، اقنعى بإنسانيتك وفيها الكفاية من المجد، أطلقى سراح العفريت فما يجوز أن يملكه فرد به ضعف، حررى شعبك، احترمى عقل الإنسان وقلبه، المجد لمن يخدم لا لمن يستخدم، ولنحظ بعد بأغنية الحب الخالدة فلا خالد فى الدنيا إلا أنغامها.

ترمزين : لا يوجد فى الأحياء من يستطيع خداعى.

عبد الصمد : (للقمقم) كاشفها أنت بالحقيقة، دعنا نشهد المعجزة!

(صمت)

صوت العفريت : مولاتى ترمزين.

ترمزين : **(بدهشة وسرور)** أخيراً تكلمت.

صوت العفريت : إنى رهن إشارة منك.

ترمزين : أيها العفريت ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

طالب بن سهل : نحن راضون بحكمه ولكن عليك أن تفقهى قوله.

ترمزين : (للقمقم) ما رأيك فيما قال هؤلاء؟

(صمت)

صوت العفريت : إنك حية بل سيدة الأحياء.

(ترمزين تضحك فى سرور وشماتة)

عبد الصمد : أيها العفريت، ألم تهلك المدينة وصاحبتها منذ عشرين ألف سنة؟

صوت العفريت : كذبت أيها الجاسوس!

ترمزين : يا للنصر.

(تصفق. يدخل حاجب. تأمره بإحضار الجنود)

صوت العفريت : لا يجوز أن تعدمى أحداً منهم قبل التتويج.

(يدخل الجنود)

ترمزين : خذوا الجواسيس إلى السجن وآتونى برءوسهم لدى عودتى من التتويج .

(تقف. تقترب من طالب وهو ضمن المقبوض عليهم)

(لطالب بن سهل) سوء الحظ لم يدركك وحدك يا طالب .

طالب بن سهل : إنى سيئ الحظ ما فى ذلك من شك .

ترمزين : لا مجد بلا ثمن . (تشير إلى الجنود فيمضون بهم)

(محدثة نفسها فى أسى) ولكن ما أفدح الثمن .

(يهبط الظلام)

ـ ٧ ـ

(إضاءة)

(الميدان)

(حراس.. الجمهور يتطلع نحو العرش. موسيقى يتخللها هتاف كالهدير طبول يعقبها صمت شامل)

(يظهر موكب الملكة ترمزين خارجا من القصر فى هالة بالغة من الكمال والجمال)

(هتاف يستمر حتى تجلس على العرش)

(تشير الملكة إلى كبير الحجاب)

(يتقدم كبير الحجاب ويلقى خطبته)

كبير الحجاب : أيتها الملكة المجيدة ترمزين ، سيدة عالمى الأحياء والأموات..

ودعى آخر لحظة من حياة البشر الفانية ، وتبوئى عرش

الألوهية الخالد، دمت لنا وللأرض «إلهة خالدة»!
(فجأة يرعد انفجار مروع يعقبه ظلام)

٨

(إضاءة)

(المنظر الأول. منظر الميدان والجثث المتجمدة. موسى بن نصير، طالب بن سهل، عبد الصمد)

(موسى وعبد الصمد ينظران فيما حولهما. طالب مستغرق فى النظر إلى ترمزين)

عبد الصمد : مدينة الموت.

موسى بن نصير : مدينة الحلم.

طالب بن سهل : مدينة الحب المستحيل.

عبد الصمد : (منفعلا لـلقمقم) خدعتنا أيها العفريت، ما زال قلبك ينبض بالشر!

صوت العفريت : أبيت أن أضيف إلى ذنوبى ذنبا جديداً.

عبد الصمد : أى ذنب فى هداية امرأة ضالة إلى الصواب.

صوت العفريت : لو فعلت لتعذر على إهلاكها، ولبعثت إلى الوجود مدينة ملعونة هلكت بظلمها لتواصل حياة غريبة متأخرة عن دنياها عشرين ألف سنة، ولعمرى إن ذلك شر من الموت نفسه.

موسى بن نصير : حجة مقبولة فيما أرى، فما يهلك لظِلم لا يحق بعثه.

صوت العفريت : حسبنا أن الثائرين قد هاجروا فنجوا ثم جاء عالمكم من ذراريهم.

عبد الصمد : (باسمًا) يبدو أنه قد اندس بينهم نفر من المنافقين والجبناء.. فما أبعد دنيانا عن الكمال.

موسى بن نصير : (ملتفتا نحو طالب بن سهل) أفق أيها الأمير فلا جدوى من التعلق بحب زمان مضى.

صوت العفريت : لقد كفرت عن ذنبى، أطلقوا سراحى أيها الرجال الصالحون.

موسى بن نصير : عليك أن تقنع بذلك مولانا عبد الملك بن مروان.

صوت العفريت : صدقونى لا يجوز أن يملك قوتى إلا حكيم.

موسى بن نصير : خليفتنا أحكم الحكماء.

صوت العفريت : لا يخلو من أهواء البشر وضعفهم، ألا ترون كيف يرد على حجج معارضيه بالسيف المسلول؟ **(يتبادلون النظر فى صمت).**

موسى بن نصير : (للقمقم) إنك قوة لو استغلت للخير لجعلت من دنيانا جنة.

صوت العفريت : ما تسلط علىَّ فرد إلا جعل منى نعمة له ولمن يحب ونقمة على الملايين، صدقونى ما أحدث عفريت منا شرًا إلا تنفيذًا لمشيئة إنسان.

(يتبادلون النظر مرة أخرى)

عبد الصمد : لنطلق سراحه.

طالب بن سهل : هل أخيب فى مهمتى كما خبت فى حبى؟!

عبد الصمد : لا تتحمل مسئولية ستسأل عنها أمام رب العالمين.

صوت العفريت : قل لمولاك: من يحكم بالإيمان فلا حاجة به إلى الشيطان.

عبد الصمد : انطلق أيها العفريت فلقد نطقت بالحق.